المدخل

# للثقافة الإسلامية


تأليف

الدكتور يعقوب المليجي

أستاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم بالمملكة العربية السعودية





مؤسسة الثقافة الجامعية

ت ٣٥٠٢٤ - الاسكندرية

# المدخل للثقافة الإسلامية


تأليف

الدكتور يعقوب المليجي

أستاذ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم بالمملكة العربية السعودية



١٩٨٥

مؤسسة الثقافة الجامعية

ت: ٣٥٢٢٨٤ الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى كل من يؤمن برسالة العلم فى تنمية المدارك وتزكية النفس ورفع الدرجات . . . . وإلى كل من يحب قيم الاسلام ومبادئه وثقافته ويتشبث بها ويحافظ عليها ويزود عنها .

أهدى هذا الكتاب

# مقدمة

ظهرت فى النصف الأخير من هذا القرن ، مجموعة كبيرة من العلوم تتصف « بالإسلامية » ، بعضها قديم المنشأة وأكثرها حديث الظهور ، ومن ذلك البعض القديم من العلوم مادعت منهجية التخصص الحديث إلى نسبته إلى الإسلام ، مثل الفلسفة الإسلامية لكى تقف تخصصاً مستقلا إلى جانب الفلسفة اليونانية أو الحديثة ، وهكذا أصبح أمامنا الآن هذا الحشد الهائل من العلوم الإسلامية ، مثل الفكر الإسلامى ، والنظريات السياسية الإسلامية ، والفرق الإسلامية ، والإعلام الإسلامى والاقتصاد الإسلامى ، والخطابة الإسلامية والتاريخ الإسلامى ، والسياسة الشرعية (1) والفلسفة الإسلاميه ، وكذلك وجدنا مصطلحاً جديداً شاملا جامعاً يكاد لشموله واتساع مدلوله يضم هذه العلوم جميعاً وهو مصطلح : « الدراسات الإسلامية » ، وقد يطلق للدلالة على عدد من البحوث التى تدخل فى نطاق هذه العلوم ، وقد يطلق فى بعض الأحيان اسماً لعلم مستقل اسمه : « الدراسات الإسلامية » أى أنه له مدلولا موسعاً ومدلولا ضيقاً محدوداً ، ثم ضمت جامعة الأزهر كلية تحمل هذه التسمية وهى كلية الدراسات الإسلامية . ولا أحسب أن هناك من يمارى فى أن تلك التسميات أو جلها بعيدة لا عن الدقة العلمية فحسب بل وكذلك عن الحقيقة والواقع ، إذ كيف تعتبر مثلا أن الفرق الإسلامية كلها فرقا إسلامية وبعضها — كما هو معلوم — يبرأ من أهلها الإسلام

---

(1) ويلاحظ أن علم السياسة الشرعية هو أصلا اسم مؤلف للامام ابن تيمية « السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية » فاختصر عنوان الكتاب إلى الشق الأول منه فحسب ».

والمسلمون ، وكيف ننسب إلى الإسلام تفكيراً فلسفياً لمجرد أن المفكرين كانوا مسلمين . . .

بل لقد امتد هذا الضرب من التسمية حتى إلى الأفراد ، فيوصف هذا بأنه مفكر إسلامي أو كاتب أو باحث اسلامي ، وهذا فى الحقيقة لا ضرر فيه، وإن كان الأولى أن يقال المفكر المسلم أو الباحث المسلم ، وأن نكون على حذر شديد حين نصف علما أو بحثاً أو دراسة بأنها إسلامية وذلك لسببين :

الأول : إننا قد نجد العديد من الدراسات والبحوث لا علاقة لها بالإسلام كدين ، وهذه النسبة إلى الإسلام قد يؤدى تراكمها وازديادها مع الزمن إلى إدخال آراء وأفكار غريبة عليه .

الثانى : إن القراء لتلك الدراسات والبحوث ليسوا جميعاً على مستوى من النضج العقلى والعلمى والوجدانى يجعلهم بمنأى عن سوء الفهم والخلط والتأويل الخاطىء ، فلا يصح أن ندخل أمثال أولئك القراء ، وهم أضعاف القراء المتخصصين ، فى متاهات تضر أكثر مما تنفع ، وتشكك أكثر مما تقنع ، وليس علاج ذلك الامر بالغاء تلك العلوم أو الدراسات وإنما بتغيير مسمياتها ، حتى أدى ذلك التغيير إلى جرس لا يعجب وقعه أسماع المغرمين بالتسميات ، فماذا يضير — مثلا — لو قلنا : من فلسفة المسلمين ، أو فلاسفة مسلمون ، فان النسبة إلى المسلمين ليست كالنسبة إلى الإسلام ». لقد رافقتنى هذه الخواطر وأنا أضع مقدمة كتابى هذا عن الثقافة الإسلامية ، وهو مصطلح جديد كذلك ، فلم يعرف علم بهذا الإسم لدى علماء المسلمين حتى منتصف هذا القرن ، ولفظ الثقافة وإن كان من الثقف عربياً خالصاً ، وقد جاء ذكره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى : « إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء »... وفى قوله تعالى: «واقتلوهم حيث ثقفتموهم».

إلا أن استعمال لفظ الثقافة كاسم لعلم هو أمر جديد تماما والأكثر جدة وحداثة ان يكون العلم « الثقافة الإسلامية » فكأننا كمسلمين عرفنا فى العصر الحديث مصطلح الثقافة واستعملناه فى البحوث والمؤلفات ، بنفس المفهوم الذى استعمل به فى الغرب ، وقد عرفت فى مصر قبيل الحرب العالمية الثانية مجلة أدبية رفيعة اسمها : « الثقافة » أنشأها المرحوم الأستاذ أحمد أمين ، وكانت مع مجلة «الرسالة» للمرحوم أحمد حسن الزيات تمثلان صورة مشرفة للآداب الرفيعة والبحوث العميقة والمقالات الرصينة ، أما مصطلح الثقافة الإسلامية فهو حديث النشأة تماماً كما ذكرنا . . .

ذلك أن علم الثقافة : Culturology هو نفسه وليد أوائل القرن العشرين وهو علم ميدانه الدراسة التفسيرية للظواهر الثقافية بالذات وقد استخدمه لأول مرة الفيلسوف وعالم الكيمياء الألمانى فلهلم أوزفالد Kulturolpgie W. Ost Wald ابتداء من عام ١٩٠٩ ثم استخدمه بعد ذلك عدد كبير من الدارسين ويفرق أوزفالد بين علم الثقافة وعلم الاجتماع ، باعتبار أن الأخير شديد الاتساع طالما أنه يركز على التفاعل الاجتماعى . . . مما يجعلنا نقول ان مصطلحى « الاجتماعى » و « الثقافى » ليسا مترادفين . وقد طور ليزلى هوايت فكرة علم الثقافة فى تراث الانثروبولوجيا منذ عام ١٩٣٩ واستخدمه فى محاضراته عن الثقافة والإنساق الاجتماعية الأخرى . وحدد هوايت مجال علم الثقافة فى ضوء التعريف الكلاسيكى الشهير الذى قدمه تايلور للثقافة ، فالثقافة من منظور هذا العلم شيء قائم بذاته « Sui Generls » أى أنها تمثل مجموعة من الأحداث والعناصر الرمزية كاللغة والعادات والمعتقدات والأدوات ويؤكد لوى Lowie إن دراسة الثقافة أصبحت تمثل ميداناً مستقلا خلال المائة سنة الأخيرة مما يجعل

لها أهمية خاصة . على أن محاولات إقامة علم مستقل للثقافـــة منفصل عن علم الإجتماع ، قوبلت بغير قليل من النقد والاحتجاج فالثقافة لا يمكن أن تدرس وتفهم بعيداً عن الظواهر الاجتماعية والنفسية الأخرى (١) . »

وفى ضوء هذا النظر فإن علم الثقافة الإسلامية لا يستغنى عن رافد يغذيه ويشد من بنيانه ، وهذا الرافد هو علم لم يولد بعد ، فيما أعلم ، وأرجو أن نرى مولده قريبا ، هو علم الاجتماع الإسلامى ، وإنى لأذكر ، ان الدعوة لقيام هذا العلم وتدريسه عرضت فى مؤتمر الجامعات العربية الذى عقد بالجزائر منذ أمد قريب ، ولا ريب أن كل من يغار على صالح المجتمعات الإسلامية مؤسفة بل مؤلمة الا يتحقق لتلك الدعوة مجال الظهور ، فى الوقت الذى تتراكم فيه مشكلات تلك المجتمعات ولا نكاد نظفر حتى بتحديد أصلها أو أسبابها ، وفى نفس الوقت الذى تسير فيه على نفس خطى علوم اجتماعية عديدة لم تنبت فى مجتمعاتنا ولا تصلح لتحديد وتشخيص مشكلاتنا ومحاولة تلمس الحلول لها . . . ولست بذلك أدعو إلى نبذ علوم الغرب وطرحها جانبا ، ولكننى أدعوا إلى تهجينها ، أى الاستفادة من منهجيتها وأساليبها فى البحوث والتجارب والاستقصاء فيما ينفع أهدافنا وغاياتنا فى المجتمع الإسلامى .

إن العلم فى الغرب يعتمد على قاعدتين رئيسيتين هما :

أولا : أن يكون العلم للعلم وهذا ما يعرف بتقديس المعرفة .

ثانياً : وأن يكون العالم حراً فى تفكيره ونظرياته وتصوراته وهذ مايعرف بحرية البحث العلمى . . .

(١) قاموس علم الاجتماع الدكتور محمد عاطف غيث طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ صفحة : ١١٤

وهاتان القاعدتان كلتاهما لا ضرر منها ولا ضرار البتة لا فى الغرب الاوربى ولا فى العالم الإسلامى فى مجال واحد هو مجال العلوم الطبيعية ، أما فى المجال الآخر للعلوم وهو مجال العلوم الإنسانية ، فالأمر عندنا مختلف تماما : فان اطلاق حرية الفكر فى العلوم الإنسانية ، يوقعنا فيما وقع فيه الغرب نفسه ، من الانتهاء إلى حضارة وثقافة غير أخلاقية ، وفى التخبط والتيه فيما يحاولون منه الخلاص الآن . . .

وليس هدفى الدفاع عن القيم والمبادىء الإسلامية فحسب ، بل إننى أرى أن يتسع نطاق الحذر إلى كل مجالات العلوم الإنسانية ، أيا كان مسماها أو مجالها ، لأنها سوف تحضر تحت جدار القيم الإسلامية وإن ادعت أنها لا تمسه ، ولا أظن أحداً يغار على دينه وعلى أمته يرضى بأن يكون مما يدرسه الشباب المسلم علوما تشكك فى العقيدة أو توهن من العزيمة أو تسد المنافذ أمام المثل العليا . والطامة الكبرى ان خطأ فكرياً بسيطاً يقع فيه عالم أو مفكر أو أديب ، يضر بالمجتمع الإسلامى بأسره لعدة قرون ، ولا حاجه بى أن أعدد للقارىء أمثلة لهذا فقد سمع العديد عن شطحات فكرية وآراء شخصية آذت ومازالت تؤذى المسلمين فى مجتمعات عديدة ...

وقد يقول قائل : إن لدينا العلامة ابن خلدون ومقدمته تعتبر أساسا وطليعة لعلم اجتماع إسلامى ، ولكن لعلى لا أكون مخطئا إن قلت أنها تصلح مقدمة لعلم اجتماع عربى لا إسلامى ، ثم أنها وضعت لعصر غير عصرنا الحاضر الذى تحتاج المجتمعات الإسلامية فيه إلى علم اجتماع إسلامى يدرس واقعها ويحلله ويستخلص النتائج من الواقع لا من مجرد الافتراض والنظر ...

وإذا كان هذا القدر هو ما تتسع له هده المقدمة ، فإن ما ينبغى التطرق إليه

هو موضوع المقدمة ، وهو تحديد موضوع أو مجال « علم الثقافة الإسلامية أو ميدانه ...

إن موضوع علم الثقافة الإسلامية يمكن أن يأخذ أحد اتجاهين :

الأول : أن يدرس مسائل إسلامية تعطى الدارس أو القارىء ثقافة عامة صحيحة عن الإسلام ، ولكن كيف يتم اختيار تلك المسائل ؟

إن أمام من يريد أن يختار العديد من المسائل يمكن أن يختار من بينها بشرطين :

الأول : ألا تكون تلك المسائل مما يعلم من الدين بالضرورة .

والثانى ألا تكون كلها مسائل فقهية بحتة وإلا كان الأولى أن يستبدل بعلم الثقافة الإسلامية علم الثقافة الفقهية .

والاتجاه الثانى الذى يمكن سلكه علم الثقافة الإسلامية فهو أن يدرس المسلمين دراسة تتناول مجتمعاتهم وتوضح الكثير مما يجهله أغلب الدارسين المسلمين مثل :

أ — كيف دخل الإسلام أقطار آسيا وجنوبها الشرقى ووسط أفريقيا ؟

ب — ما هى اللغات التى تتكلمها المجتمعات الإسلامية ؟

ج — كيف وأين يعيش بعض المسلمين فى مجتمعات غير إسلامية ؟

د — لماذا تعربت بعض المجتمعات التى دخلها الإسلام ولم يتعرب بعضها الآخر كتركيا وإيران وغيرهما ؟

ه — ما هى المشكلات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التى تواجهها المجتمعات الإسلامية ؟

و — ماهى أهم العادات والتقاليد والأعراف السائدة فى المجتمعات الإسلامية ؟

وليس لى الخيار الآن فى أن أسلك أحد الاتجاهين فى كتابى هذا ، ولا أدعى أن هذا هو وحده المنهاج الأفضل ، بل أنه ليسرنى أن أرى آراء أخرى لغيرى فيها ما يحقق الغاية ويبلغ القصد ، ولكننى أسير فى كتابى هذا على أساس منهج مقرر لطلابى ، أكتب فى اطاره واتناول موضوعاته والله أسأل الهداية والعون إنه قريب مجيب .

دكتور يعقوب المليجى

محرم ١٤٠٥ هـ

اكتوبر ١٩٨٥ م

# تقسيم البحث

ينقسم البحث فى هذا الكتاب إلى سبعة فصول بالترتيب التالى : —

الفصل الأول : عن الثقافة

الفصل الثانى : عن ركائز الثقافة الإسلامية وخصائصها .

الفصل الثالث : عن مبادىء الإسلام واتجاهاته .

الفصل الرابع : عن العقيدة الإسلامية .

الفصل الخامس : عن العبادة وأثرها .

الفصل السادس : عن الأخلاق فى الإسلام .

الفصل السابع : عن نشأة المجتمع الإسلامى ومقوماته .

---

# المنهج الدراســـى

## لمـادة الثقـافـة الإسـلاميـة

## (للسنة الاولى)

يدرس الطـلاب الموضوعات التاليـة :

**أولا : فى المدلول العام للثقـافـة :**

١ ـــ الثقافة ومشكلة التعريف ، واتساع مفهوم الثقافة نظرياً وعملياً .

٢ ـــ الثقافة والحضارة .

٣ ـــ الثقافة فى حياة الأمة وشمولها للمفاهيم الأساسية فى حياتها .

٤ ـــ الثقافة والمجتمع وأثرها ، التمييز بين عوامل التطور الاجتماعى .

**ثانيـاً : فى الثقافـة الإسـلاميـة :**

**أ ـــ ركائز الثقافة الإسلامية .**

١ ـــ المنبع الربانى ( الحقائق اليقينية الهادية ) .

٢ ـــ المنهج الآلهى الشامل .

٣ ـــ رصيد الفطرة الإنسانية الأصلية .

**ب ـــ من خصائص الثقافة الإسلامية**

١ ـــ شمولها وكمال تصورها للانسان والحياة .

٢ ـــ وحدتها وتناسقها وبثها روح التميز فى الامة .

٣ ـــ إيجابيتها وأخلاقياتها .

٤ ـــ رعايتها للوحدة الانسانية والمثل العليا .

٥ — الثقـــة بهـا .

**ثالثاً : مبادىء الإسلام واتجاهاته ( آفاق النظرة الإسلامية )**

١ — الله والوجود ( من خلال الآيات القرآنية فى هذا المجال ) .

٢ — أركان الإيمان : الايمان بالله * الملائكة * الكتب * الرسل * اليوم الآخر * القضاء والقدر .. الخ ( ومعالجة ذلك فى ضوء الأدلة العقلية والنقلية ) .

٣ — النبوة والوحى : رد شبهات بشرية الوحى . النبوة الخاتمة ونسخها للأديان . . خصائص الرسالة المحمدية .

٤ — نظرة الإسلام للانسان والكون والحياة .

**رابعاً : آثار العقيدة وخصائصها :**

١ — العقيدة والحياة ـ العقيدة والواقع الإنسانى ـ العقيدة ومصير الأمم عقيدة التوحيد فى مواجهة العقائد الباطلة .

٢ — العقيدة والإنسان ـ الإنسان بين الهداية والغواية ـ الصلة بالله وأثرها فى الطاقات الإنسانية ـ انسان العقيدة .

٣ — من خصائص العقيدة / بناء للخير ، وهدم للشر ـ منهج القصد والاعتدال ـ رابطة أخوة وتراحم . . . الخ .

**خامسا : العبادة وأثرها فى حياة الإنسان :**

١ — حقيقة العبادة ـ وظيفتها ـ أنواعها .

٢ — خصائص العبادة ـ آثارها الخلقية والنفسية والاجتماعية .

( اشراقة النفس ـ طمأنينة القلب ـ اصلاح الفرد والمجتمع ـ التعاون ) .

سادساً : الاخلاق فى الإسلام : أسس الأخلاق فى الإسلام :

١ ـ منزلتها ـ انبثاقها من التصور الإنسانى الكامل .

٢ ـ الإسلام وتهذيب النفس ـ بواعث العمل ـ ارتباطه بالثواب والعقاب ـ معيار الخير والشر ـ تربية الضمير الأخلاقى .

٣ ـ الأخلاق الفردية والأخلاق الاجتماعية .

٤ ـ الموازنة بين الاخلاق فى الإسلام ، ونظم الاخلاق الوضعية .

سابعاً : نشأة المجتمع الإسلامى ومقوماته :

أ ـ نشأته على أسس الإيمان ، إيثار الآخرة ، الأخوة ، الصبر . . الخ .

ب ـ مقوماته : التقوى ، الانقياد للاسلام والاحتكام اليه ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، الجهاد .

جـ ـ لمحة عن المجتمع الإسلامى فى العهد النبوى .

١ ـ بناته ٢ ـ اعداؤه ٣ ـ العقبات والتحديات التى واجهها .

٤ ـ سماته ( النمو المطرد ـ التلاحم والتآلف ـ الحيوية ـ المجتمع النموذجى ) .

# الفصل الأول

## الثقافـــــــــة

لا يسوغ لكاتب أن يكتب فى الثقافة دون أن يعرض معها لـكل من الحضارة والمدنية ، وليس ذلك لما بين مفاهيم هذه المصطلحات الثلاثة من صلة فحسب ، بل ولأننا سوف نجد بعض الباحثين يجعلونها تدل على معنى واحد ، فالثقافـــة والحضارة والمدنية مترادفات فى رأيهم ، ثم اننا سوف نجد أن بين تلك المفاهيم للثقافه والحضارة والمدنية شجنة مشتبكة ، وعلاقات ترتبط بينها ، ولذلك فقـد آثرت أن أبدأ بالكلام عن الحضارة أولا فى مطلب أول ، وأعقبه بمـطلب ثان عن الثقافة ثم أختم هذا الفصل بمطلب ثالث عن المدنية .

## المطلب الأول

### الحضـــارة

**الاشتقاق اللغة :**

الحضر بفتحتين خلاف البدو والحاضر ضد البادى .

يقول تعالى : ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هـذا تأويل رؤياى من قبل قد جعلها ربى حقاً وقد أحسن بى إذ أخرجـنى من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزع الشيطان بينى وبين اخوتى ، ان ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم (١) .

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٠ .

وقد جاء فى تفسير « البدو » فى هذه الآية ان أخوة يوسف كانوا من البدو وانهم كانوا أهل بادية وماشية وشاء وإبل (١) » فالبدو هنا تفسر باعتبار الأرض والمكان وهى الصحارى والأرض الخالية أو باعتبار المهنة والحرفة وهى الرعى وتربية الماشية خاصة الابل والخيل والماعز والغنم .

ويقول تعالى : « يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون فى الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا »(٢). فسكان البادية هم البدو وهم الأعراب الذين كانوا خارج مكة والمدينة.

فالبدو هم سكان البادية والحضر هم سكان المدن والقرى ، وينسب المرء إلى المكان الذى يعيش فيه فيقال هو حضرى أو هو بدوى والحضارة بفتح الحاء (٣) تعنى الإقامة فى الحضر .

وقد ذاع بين العرب منذ عهد بعيد استعمال كلمات مرادفة لكلمات البداوة والحضر ومؤدية لمعانيها مثل : الوبر والمدر ، والحدر والحجر ، فالوبر هو صوف الحيوانات وشعرها وأوبارها مما يتخذ منه سكان البادية خيامهم ومتاعهم وأهل الوبر بذلك هم أهل البوادى ، أما المدر فهو قطع الطين المتماسك وهو ما يبنى به الناس دورهم فى القرى والمدن ، فيقصد بأهل المدر سكان المدن أو الحضر ، ولهذا سمى العرب مصر بالمدرة السوداء ، كناية عن أنها تتكون من

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ صفحة : ٤٩١ ؛
وتفسير البيضاوى ج ١ صفحة ٢٧٠ .

(٢) سورة الأحزاب : آية : ٢٠ .

(٣) ذلك عند الأصمعى وعن أبى زيد بالكسر مختار الصحاح الرازى صفحة : ١٤١ .

قرى ومدن كثيرة . أما الحدر فيقصد به الأرض المنحدرة التى لا يمكن البناء عليها والحدر بذلك يدل على البادية ، وعلى خلاف ذلك فإن الحجر يقصد به المدينة ولذلك نجد فى جزيرة العرب عدة مدن باسم : الحجر (١) . . .

وإذا كان العلماء لا يختلفون فى أن الحضارة تعنى التقدم والرقى وان التحضر يعنى ارتقاء معيشة الإنسان وارتقاءه هو نفسه، فإنهم لايتفقون على تحديد نوع ذلك الرقى ، ويذهبون مذاهب متعددة فى محاولة تحديد كنة الحضارة ، وهل هى الرقى والتقدم المادى أم المعنوى ، وهل يقصد بها داخل الإنسان وفكره أم مظاهر معيشته وما يستعمله فى حياته . . . وهل الحضارة هى المدنية وهى الثقافة كذلك أم أنها تختلف عنها وتقوم كاصطلاح مستقل ذى معنى خاص ؟ .

ويمكن أن نوجز فيما يلى أهم الإتجاهات فى تعريف الحضارة .

* فيذهب البعض إلى أن الحضارة والمدنية شىء واحد وهما مصطلحان يدلان على إتساع العمران ورقى المعيشة وأن التمدن والتحضر يعنى أن يعيش الناس معيشة أهل المدن ويأخذون بأسباب الحضارة ، التى تتمثل فى ارتفاع مستوى الحياة ارتفاعا ينعكس على السلوكيات والاخلاقيات فتكون أرقى ولذلك كان المتحضر أو المتمدن هو الإنسان المهذب وكان التحضر أو التمدن يعنيان التغير من حالة البداوة والأخذ بالأخلاق والسلوكيات والعادات والقوانين الطيبة (٢) . ومن العلماء من يجعل الحضارة مفهوما واسعاً يشمل كل مظاهر

---

(١) تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى للدكتور عبد المنعم ماجد صفحة : ٩ .

(٢) الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة دكتور عبد الغنى عبود ص ٢٢

النشاط البشرى والإنتاج الإنسانى ، ومن يتبنى هذا المفهوم الواسع لمعنى الحضارة العالم الإنجليزى تايلور : ( Taylor ) الذى وصف الحضارة بأنها ذلك الكل المعقد الذى يشمل المعارف والعقيدة والفن والقيم الأخلاقية والقانون والتقاليد الإجتماعية ، وكل القدرات والعادات التى يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً فى المجتمع وكذلك نجد من بين المفكرين العرب من يوسع مفهوم الحضارة بحيث تشمل ما تدل عليه مصطلحات الثقافة والمدنية ويعتبرون الحضارة والثقافة والمدنية مترادفات ، وهذا فى الحقيقة لا يكاد يخرج عن المفهوم الشامل الذى أورده « تايلور » فى تعريفه .

أما العلماء الألمان فيرون أن الحضارة هى صورة التعبير عن الروح العميقة للمجتمع ، أما مظاهر التقدم الآلى والتكنولوجى فإنه مما يتصل بمعنى المدنية ، وقد تأثر بهذه التفرقة بعض الباحثين من غير الألمان فمالوا إلى القول بأن الحضارة هى ما نحن أما المدنية فهى ما نستعمل ، أو بعبارة أخرى فإن الحضارة فى رأيهم تتمثل فى الفنون والآداب والديانات والأخلاقيات بينما تتمثل المدنية فى السياسة والإقتصاد والتكنولوجيا .

ومن العلماء من يقصر مفهوم الحضارة على الجوانب المادية فى حياة الإنسان أى ما يتعلق بوسائل معيشته وحياته وما يعده للحصول على طعامه وشرابه من أدوات ومعدات وآلات وما يستخدمه من أنواع الأسلحة للدفاع عن حياته وجماعته ، ولا علاقة للحضارة — فى رأيهم — بالنواحى النفسيه والمعنوية والفكرية فى حياة الإنسان إذ هذه كلها مما يدخل فى مفهوم الثقافه .

والحقيقة أن هذا الرأى أقرب — فى نظرى — إلى الصواب ، لأن الحضارة تغدو بناء عليه قديمه قدم الحياة الإنسانية ذاتها ولأن العديد من المجتمعات ، على

عبر العصور ، قد يتشابه فى مظاهر العيش والعمران ، ولكنها تختلف عن بعضها إختلافاً كبيراً ولا يمكن تفسير هذا الإختلاف بالرجوع إلى الحضارة وحدها بل يتعين اللجوء إلى مفهومى الثقافة والمدنية.

وقد يبدو لنا ونحن نتأمل ونناقش مختلف الآراء فى تحديد مفهوم الحضارة ان الخلاف بينها هو مجرد خلاف نظرى واصطلاحى فقط ، ولكن من يتأمل الواقع يجد أن محاولة الفصل التام بين نشأة كل من الحضارة والثقافة والمدنية يغدو فى التطبيق العملى لواقع الحياة الإنسانية أمراً عسيراً بل مستحيلا ، وذلك لأننا لو اعتبرنا الحضارة مجرد العمران والتقدم والرخاء الماديين فإنه لا يمكن تحقيق ذلك إلا بالمعارف والعلوم النظرية والعملية ، وبتوفر النظام والاستقرار الإجتماعى الذى يحقق الأمن ويساعد على التعمير والانشاء . ولهذا نجد ان ابن خلدون بعد أن ذكر ان الحضارة تعنى نواحى التقدم العمرانى والمعيشى قام بالربط بين مفهومى الحضارة والملك باعتبار أن الحكم الثابت المستقر القوى هو ضرورة لا غنى عنها لإشاعة العمران والمحافظة عليه ولازدهار الحضارة وكثيراً ما كانت الفوضى عامل هدم وتدمير للحضارة والعمران . على أن الاستقرار التاريخى وتتبع حياة الإنسان منذ عرف الحياة الجماعية وتقدم فى أساليب المعيشة يدل على أن الحضارة يقترب مفهومها من المفهوم الذى وضعه ابن خلدون باعتبارها مظهراً للعمران وسعياً نحو الرقى المعيشى وفى نواحى الزراعة والصناعة والتجارة وصنع أدواتها والنجاح فى استنباط ما يعمل على حسن الإستفادة منها فى حياة الإنسان مما سبقت الإشارة إليه . . . والحقيقة التى لا شك فيها أن الرقى العقلى والتقدم العلمى من أهم عوامل التقدم الإقتصادى فى كل عصر ، كما أن التقدم الإقتصادى والرقى المعيشى وتوفر الرفاهية كل ذلك يساعد على تفرغ

الإنسان للتأمل والبحث والتفكير والإقبال على دراسة العلوم وتذوق الآداب والفنون .

ولا يتسنى لفرد يشغله تحصيل الضروريات والسعى وراء مقومات الحياة أن تهتم نفسه بالتفكير فى الفنون والآداب فالعلاقة إذن بين المصطلحات الثلاثة لا ينفصم كما أن التأثير بينها مما لا يمكن إنكاره ، ولعل تلك العلاقة وهذا التأثير هو ما حدا ببعض الباحثين إلى اعتبار الثقافة والمدنية والحضارة أمراً واحداً . وإذا نحن أخذنا بفكرة الفصل بين المصطلحات الثلاثة وما يدل عليه كل واحد منها فإنه يمكن القول أن الحضارة هى الأعم والأشمل دلالة فالحضارة ظاهرة إنسانية عامة وهى مظهر لتخطى الإنسان مرحلة الحياة البدائية الأولى أو حياة الجمع والالتقاط ، جمع ما على الأرض والتقاط ثمار الشجر ، ولكن منذ أن بدأ الإنسان يعرف الصيد ، صيد الحيوان والطير والأسماك ويعد له أدواته ويصنع له آلاته ، بدأت أول خطواته على طريق الحضارة ، والتى مازالت مستمرة حتى وقتنا الحاضر ، فبعد الصيد عرف الإنسان الرعى حين عرف كيف يستأنس الأنعام والماشية والدواب ، ولكنه لم يعرف الاستقرار إلا حين عرف الزراعة وبنى الدور فتكونت القرى بجانب مجارى المياه وفى وديان الأنهار . وعرف حياة الجماعة التى تعيش فى حياة يتجاور أفرادها ويتعاونون ويعد ظهور القرى سابقا على قيام المدن كما سنذكر عند الكلام فى المدنية ، فالحضارة بهذا المفهوم قديمة قدم الحياة الإنسانية ذاتها أى أنها بدأت منذ كان للانسان تاريخ على ظهر الأرض ، سواء كان يسكن الكهوف والمغارات أو يسكن الأكواخ يصنعها من أغصان الأشجار والغاب . وسواء كان لباسه من جلد الحيوان أو من وبره وصوفه بعد غزله ونسجه وسواء صنع آنيته وأدواته من الحجر أو المعادن وعلى هذا

فيمكن لنا أن نعبر عن مفهوم الحضارة بإيجاز بأنها قدرة — الإنسان على التحكم في مظاهر الطبيعة بما ييسر له ، تعيشه ويسهل أسباب حياته ، ولا زال في عصرنا الحاضر رغم تقدم شأن الحضارة فيه ، جماعات من البشر يعيشون معيشة حظها من التحضر قليل ضئيل ، ومع هذا فلا يمكن أن تنفي عنهم صفة الحضارة ، مثل القبائل التي تسكن القطب الشمالي وفي أواسط قارة استراليا وأفريقيا وفي غابات حوض نهر الأمازون بأمريكا الجنوبية ، ولم يبق مفهوم الحضارة واحد عبر حقب التاريخ ، فقديما كانت في الأرض حضارات متعددة ، ومتباينة ، تعيش كل حضارة مستقلة بذاتها متميزة بخصائصها ومن أشهر الحضارات القديمة : الحضارة الهندية والحضارة الصينية والحضارة الإغريقية والحضارة المصرية والحضارة الرومانية وبعدها جاءت الحضارة الإسلامية ثم نجد في العصر الحديث الحضارة الغربية والأوربية المعاصرة وغيرها . ورغم إختلاف الحضارات وتباين مظاهرها فإن ذلك لا ينفي أن توجد بينها جميعا سمات وخصائص معينة تجمع بينها ومن أهمها :

**سمات الحضارة :**

( ١ ) وتتصف الحضارات قديماً وحديثاً بصفة الاستمرارية أو الإمتداد عبر الأزمنة والعصور ، فكل حقبة تستفيد مما سبقها من الحقب ، وكل جيل ينقل عن غيره من الأجيال (١) . والتجارب الإنسانية دائبة ومستمرة في سبيل الرقي والتقدم الحضاري في شتى مظاهره كالزراعة والصناعة والصيد والعمران وشق الطرق وتعبيدها واستخراج المعادن ولمروات الأرض من باطنها ، وما المخترعات

---

( ١ ) في مختار الصحاح : جيل من الناس أي صنف ، الترك جيل والروم جيل ص ١١٨ .

التي بين أيدينا إلا ثمار تجارب إنسانية سبقتها وقادت إليها ، ولم يحدث في عصر من العصور انهيار للحضارة الإنسانية برمتها ، وحتى عندما عم فيضان نوح وأغرق كل مظاهر الحضارة والعمران فإن من نجوا في السفينة ممن آمنوا حملوا معهم ما يجعل الحضارة قائمة ومستمرة . يقول تعالى : « قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين » (1) . ولا نقصد باستمرارية الحضارة بقاء ودوام حضارة واحدة عبر كل العصور ، فهذا يخالف الواقع وإنما نقصد ان ثمة حضارات متعددة في العالم لمختلف الامم ، تعيش متعاونة حينا ومتنافسة متصارعة حيناً آخر . .

وقد كان يحدث أن تنهار حضارة إحدى الأمم فلا تلبث أن تحمل مشعل الحضارة أمة أخرى ، وتعاقب الحضارات أمر لا ينكر بل تحتمه ظروف التغير الاجتماعي للمجتمعات على مر العصور ، ولا يتصور نمو حضارة وتقدمها دون أن تمتد جذورها إلى حضارات أخرى سابقة أو معاصرة تقتبس منها أو تزيد عليها . فأوربا استفادت من حضارة المسلمين وبنت عليها وتقدمت بها كثيراً ، وهكذا نجد أن من العسير أن تحتفظ أمة بتجاربها لنفسها ، ولا تفيد منها غيرها ، فهي حين تمتاز في بعض نواحي الحضارة قد تفتقر إلى نواح أخرى لدى غيرها من الامم ، فالخبرة الدائمة على مر العصور الإنسانية هي أمر حتمي ورغم التقدم المعاصر فلا زالت بيننا إلى اليوم أدوات تستعملها الإنسانية منذ آلاف السنين — دون تطور أو تغيير كبير وذلك مثل الخف والمنسوجات والملابس وأدوات الطهي والأكواب والسرر والكراسي والشادوف (2) والفأس والسكين والخيام والفرش والعطور . . وغير ذلك كثير ، وإذا كان ثمة تغيير قد تم فيها عبر آلاف السنين فهو تغيير بسيط لم يمس أصلها ولا استعمالها ، ولازالت الدور

(1) سورة هود آية (40) .

(2) الشادوف رافعة بها وعاء يربط بحبل لرفع الماء من منخفض أو بئر .

والبيوت تقوم على الفكرة الأولى التى قامت عليهـــا منذ آلاف السنين ، وهى الحجرات والنوافذ والابواب ولعله كان فى القديم من صنوف العمارة مالا نجـد ما يدانيه فى عالمنا المعاصر . وصدق الله تعالى فى كتابه العزيز : « أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينت فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (١) » والسبق الذى حازه الغرب فى ميدان الحضارة عمره لا يزيد عن قرنين من الزمان ، كان قبله الشرق والغـرب متناظرين أو متقاربين فى مستوى الحضارة ، فالقطر والسيارات والطـائرات والبوارج والصواريخ والأقمار وسفن الفضاء كلها وليدة القرنين التاسع عشر والعشرين .

( ٢ ) ومن سمات الحضارة المعاصرة أنها حضارة علميـــة أى تعتمد على العلوم أكثر مما تعتمد على الخبرات الفردية ، كما كان الشأن فى الماضى ، ويقصـد بالعلوم ( الحضارية ) مجموعة العلوم الطبيعية مثل الهندسة والكيمياء والجيولوجيا والتعدين والرياضيات (٢) .

ويبدو على الحضارة المعاصرة إهتمامها الزائد بتلك العلوم الطبيعية إهـتماماً يربو بكثير ويزيد عن الإهتمام بالعلوم الإنسانية مما جعل تلك الحضارة توصف حينا بأنها حضارة مادية وحيناً آخر بأنها حضارة غير أخلاقية وغير إنسانية وهذا ما جعل الحياة الإنسانية تختلف فى جوانب كثيرة عن الحيـاة فى العصور الوسطى .

---

( ١ ) سورة الروم آية ( ٩ ) .

( ٢ ) الحضارة : د. حسين مؤنس ـ صفحة ٣٦١ .

(٣) ثم أن العلم يختلف من بلد إلى بلد فعلم الهندسة أو الطب والصيدلة لا يختلف فى انجلترا عنه فى السويد عنه فى المملكة العربية السعودية عنه فى مصر أو أندونيسيا ، والمهندس أو الطبيب أو الصيدلى لا يختلف فى ممارسته لعمله فى أى قطر من هذه الأقطار عن نظيره فى الأقطار الأخرى . ولما كانت العلوم الطبيعية عالمية فهى تدخل فى نطاق الحضارة ومن العبث والعقم أن يحاول قطر أن يستقل بمعارفه العلمية ويشق لنفسه بها طريقا خاصا . بل أولى الأمور بالعناية أن يتصل كل قطر متخلف بتيار العلوم الطبيعية دون أن يتعدى ذلك إلى العلوم النظرية ، فالواجب أن تظل لها طبيعتها المستقلة المتميزه ، وأوروبا حين استفادت من حضارة العرب والمسلمين فعلت ما ننادى به الآن ، فنقلت علومهم وتجاربهم الحضارية ولكنها لم تنقل آدابهم وثقافتهم ولغتهم ، فاستفادت من طب ابن سينا وجغرافية الأصطخرى وأبى الفدا وابن حوقل ومن رياضة ابن الهيثم وكيمياء جابر بن حيان وغيرهم واحتفظ الأوربيون بأصالتهم وتمسكوا بثقافتهم وتراثهم الروحى .

ولكن يبدو ان بعضا من دول العالم النامى لا تعى هذا الدرس وتقلب الآية فتنقل عن الغرب مالا ينبغى أن ينقل عنه وتترك ما ينبغى لها أن تحرص فى الحصول عليه . ومن الخطأ أن يدرس المسلمون فى أوربا وغيرها التاريخ الإسلامى والقوانين والشرائع والنظم السياسية بل واللغة والأدب العربى فى فى الوقت الذى يستقدمون فيه من تلك البلاد علماء فى الهندسة والجيولوجيا والتعدين والصناعة وإنشاء الطرق والعماره وصيد الأسماك ثم أن أخذ العلوم الإنسانية من مجتمعات تختلف عنا له خطره وضرره على البحث والفكر وعلى المجتمع الإسلامى بأسره وقد عانينا من ذلك كثيراً مما قد يتسع المجال لبسطه بعد ذلك .

( ٤ ) ومن سمات الحضارة أخيراً أننا نجدها ترتبط بالعادات والتقاليد أشد الارتباط فهى مما يتعود عليه الناس فى حياتهم ويشق نزعهم عنه بعد هذا الاعتياد فليست الحضارة إذن ثوبا يخلع ويلبس غيره ، بل هى تلتصق بحياة الفرد والجماعة طبقا لقواعد معروفة فى التغير الاجتماعى . وحين تصبح سمة متميزة غالبه لايسهل تركها خاصة إذا تعلق بها الناس وألفتها نفوسهم فيعسر التخلى عنها بعد ذلك . وذوبان الحضارة القديمة واعتياد الناس لحضارة جديدة هو من الأمور التى تكرر حدوثها فى التاريخ الإنسانى وكل حضارة جديدة تستغرق سنوات عديدة حتى يتعود عيها الناس وتألفها حياتهم ، ولذلك نجد أن الصراع بين الحضارات ظاهرة واضحة والحضارة الأقوى تخضع غيرها من الحضارات الضعيفة ، فتقلدها هذه أو تذوب فيها ، وما انتشار اللغات والعادات والتقاليد ونظام المعيشة والديانة والإخلاق فى مجتمعات وشعوب دول أمريكا اللاتينية وبعض دول وسط أفريقيا إلا نتيجة تغلب الأسبان والفرنسيين عليها وهيمنة حضارتهما على الحضارات السابقة هناك .

( ٥ ) وتمر الحضارات — فى رأى العديد من الباحثين — بأطوار وأدوار أشبه بأطوار حياة الإنسان أو مجرى النهر ، فهى تبدأ أولا بدور النشوء ثم تصل إلى دور النمو وهو دور القوة والإزدهار وأخير تصل إلى حالة التصدع Break ) doum ( وأخيرا تنتهى إلى الإنحلال والتفكك ( Desintegration ) والتاريخ حافل بالعديد من الأمثلة على حضارات مرت بتلك الأطوار ، وقد أشار ابن خلدون إلى تلك الظاهرة فى مقدمته عند تناوله موضوع الدول وقيامها

وقوتها وهرمها وخرابها كما أنه (١) ذكر ان الظلم مؤذن بخراب العمران (٢) وان للدول أعمار طبيعية كما للأشخاص .

# المطلب الثـــانى

## الثقـافـــة

**مفهوم الثقافـة :**

هذا الكتاب موضوعه « الثقافة الإسلامية » ، ولذلك يتعين علينا ان نبرز أولا معنى الثقافة بصفة عامة قبل أن نتكلم عن الثقافة الإسلامية بصفة خاصة .

ان للثقافة معنى عاما ولها أيضا مفهوم ومعنى خاص . . فالثقافة بمعناها العام هى طريقة الحياة الكلية للمجتمع وهى تتضمن كل ما يتعلق بالحياة مثل اللغة واللهجة وطرق الزواج ونظام دفن الموتى والزى والأدب والقصص وغيرها من صور الحياة والنشاط البشرى .

ومن ثم فالثقافة — على النقيض من العلم — لا يمكن أن تفهم على أنها تعنى مستوى عاليا من الامتياز العقلى والفنى ، فى شخص أو مجموعـــة إذ هى ملك للجميع ، فلا يوجد — وفقا لهذا المفهوم — إنسان مثقف وآخر غير مثقف .

---

( ١ ) نلاحظ هنا ان التسمية نفسها ( لاتينية ) أصلها أوربى لاتينى كما انتقلت إلى أغلب دول العالم اصطلاحات دكتاتور وامبراطور وقنصل وكلها ذات أصل رومانى .

( ٢ ) راجع مقدمة ابن خلدون ص ١٧٠ و ص ٢٨٦ طبعة دار الكتاب العربى بيروت ( الطبعة الخامسة ) .

على النحو الذى نستخدمه فى حياتنا العادية خطأ، إذ أن لكل إنسان ثقافته صغيراً كان هذا الإنسان أو كبيراً، غنيا أو فقيراً متعلماً أو جاهلا، رجلا أو امرأة، ولكل مجتمع من المجتمعات أيضاً ثقافته مهما كانت الظروف المحيطة بهذا المجتمع فالثقافة فى مفهومها العام تعد بالنسبة للفرد مرادفاً للشخصية والثقافة بالنسبة للمجتمع مرادف للشخصية القومية التى يتميز بها هذا المجتمع عن غيره من المجتمعات انها ذلك النسيج الكلى المعقد من الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد والاتجاهات والقيم وأساليب التفكير والعمل وانماط السلوك (١) على أن هذا المفهوم العام للثقافة لا يعنى وحدة الثقافة فى المجتمع بل إنه توجد فى كل مجتمع ثقافات عده، فهناك ثقافة الفئة أو الطبقة، وهناك ثقافة أهل المدن وثقافة أهل الريف أو البادية، وقد تجمع بين تلك الاصول المختلفة للثقافة روابط قوية أو ضعيفة أو ترجع فى مجملها إلى أسس ثابتة، وقد لا توجد تلك الروابط وإن وجدت فقد تكون ضعيفة أو واهيه . . .

**الثقافة والدين :**

وللدين أثره الذى لا ينكر فى توحيد الثقافة وفى إنمائها، يقول ت. س. اليوت : . . . حاولت أن اكشف عن الصلة الجوهرية بين الثقافة والدين واوضح ما فى كلمة العلاقة من نقص حين تستعمل للدلالة على هذه العلاقة بالذات . وأول دعوى هامة اقيمها هى أنه لم تظهر ثقافة ولا نمت إلا بجانب دين :

ومن هنا تبدو الثقافة نتيجة من نتائج الدين أو الدين نتيجة من نتائج الثقافة

---

( ١ ) الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة . دكتور عبد الغنى عبود صفحة ٢٠ .

طبقاً لوجهة نظر الناظر (١) .

ويبدو رأى اليوت متفقاً مع الحقائق البشرية ويؤكده التاريخ الإنسانى ، فقد كان للدين أثره فى كل الثقافات القديمة ، ففكرة الموت وبناء المقابر والاهرامات عند قدماء المصريين ، والقصص والأساطير والتماثيل والحياة الإجتماعية لدى الأغريق والرومان هى مما يؤكد تأثير الدين العميق على الفكر والحياة الإنسانية مثل النظرة للحياة والموت وما وراءه والخير والشر والأخلاق والزى والسلوك والعمران ، كما أن من المعروف ان طرق الغسل والكفن والدفن ونظم الخطبة والعرس والزواج وأساليب الأكل واللباس والتحية وحلق الشعر والطهارة والاغتسال وهى كلها جزء من الأنماط الثقافية ( Culture Patterms ) يتفق فيها المسلمون رغم تباعد الاقطار وتباين المجتمعات ولا يمكن تفسير ذلك التوحد إلا بالرجوع إلى الدين الإسلامى ، ويطلق علماء الاجتماع على هذه الظاهرة : ظاهرة توازى الثقافة : ( Cultural Parallelism ) أى وجود سمات ثقافية واحدة أو متشابهة بدرجة كبيرة فى مكانين أو أكثر منعزلين جغرافياً (٢) .

(١) ملاحظات نحو تعريف الثقافة تأليف : ت. س. إليوت : ترجمة الدكتور شكرى محمد عياد . مطبعة مصر صفحة : ١٦ .

(٢) قاموس علم الإجتماع . الدكتور عاطف غيث صفحة ١٠٥ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

# المطاب الثـالث

## الثقـافـة

**تمهيـد :**

**الثقافـة لغـة :** الثقف لغة يأخذ ثلاث معان هى :

**( أولا ) الغلبة والظفر :** وفى هذا المعنى قول الله تعالى : « ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون » (١) .

**( ثانيا ) الحذق والبراعة :** تقول ثقف الرجل ( بالضم ) أى صـار حاذقاً خفيفاً فالثقف يعنى الحذق فى ادراك الشىء علماً كان أو عمـلا ، والثقاف ( بالكسر ) ما تسوى به الرماح وتثقيفها يعنى تسويتها (٢) .

**( ثالثا ) بمعنى المصادفة :** نقول ثقف ( بالكسر ) أو صادفه (٣) وهـذا المعنى نجده فى قوله تعالى : « واقتـلوهم حيث ثقفتموهم » (٤) . . . أى حيثما وجدتموهم فى حل أو حرم (٥) وتوصف المرأة البارعة الحاذقة بأنها ثقاف ويقال رجل ثقف ولكن اللغة جرت فى الحديث على وصف الرجل بأنه مثقف والمرأة بأنها مثقفة .

---

١ ) تفسير البيضاوى — الجزء الثانى صفحة ٢٢٥ سورة الممتحنة آية ٢ .
٢ ) مختار الصحاح للرازى صفحة ٨٤ .
٣ ) مختار الصحاح للرازى صفحة ٨٥ .
٤ ) سورة البقرة آية ٩١ .
٥ ) تفسير البيضاوى الجزء الأول صفحة ٥٥ .

ونورد بعد ذلك مفهوم الثقافة فى الفكر الإسلامى وفى الفكر الغربى .

**مفهوم الثقافة :**

**اولا : مفهوم الثقافة فى الفكر الاسلامى :**

كان المفهوم العام للثقافة عند المسلمين يعنى جمع المرء لمجموعة من المعارف وتحصيله اللغة واجادته لآدابها ، فلم تكن الثقافة تنفصل عن اللغة والأدب من شعر ونثر وحكم وأمثال فضلا عن طرف من التاريخ والأنساب والمعارف العامة ، وقد كان لفظ المثقف يعنى فى استعمالنا الحاضر لفظ الأديب وكان من الضرورى أن يكون أغلب المفكرين أدباء يجيدون الكتابة والأدب لأن العربية كانت لغة الفكر ولغة التأليف ، ولو نظرنا مثلا إلى محمد بن ادريس الشافعى لوجدناه قد تثقف ثقافة عربية واسعة اكتسبها فى صباه من اقامته فى البادية وأعانه ذلك على تفهم سليم وفقه دقيق للمعانى فى كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام ، كما أفادته ثقافته اللغوية قوة فى التعبير ورصانة فى الأسلوب وذوقا ودقة . حتى لقد قرأ عليه رجل فلحن فقال له الشافعى على الفور : ياهذا . لقد أضرستنى ، وحكى أن الأصمعى أخذ عنه شعر الهذليين وشعر الشنفرى ومع هذه الثقافة الواسعة فى اللغة والأدب كانت له ثقافة عميقة فى الفقه تنوعت بحسب مدارسه ومصادره فثقافة فى الفقه على نمط مدرسة الحديث فى الحجاز ، وثقافة على نمط مدرسة الرأى فى العراق ثم كان له كذلك ثقافة اجتماعية تكونت لديه من مشاهدته لحياة البدو فى البادية وللحضارة البسيطة فى الحجاز واليمن ثم الحضارة المعقدة المركبة فى كل من العراق ومصر . وهكذا نجد الشافعى وهو فقيه مجتهد يجمع بين علوم القرآن والحديث والفقه واللغة والشعر والأدب . وقد أوردناه كمثال

يبين لنا مفهوم الثقافة فى العصور الإسلامية الأولى (١) ومثل ذلك التنــــوع فى الثقافة لم يكن قاصرا على الامام الشافعى بل كان هو الظـاهرة العـامة فى أغلب الكتاب ورجال الحكم وموظفى الدولة والشعراء . فالجاحظ والزمخشرى كان لهما بجانب فنون اللغة والأدب ثقافة كبيرة فى علم الكلام وقد يستغرب البعض أن أبا نواس شاعر الخمر قد حفظ القرآن فى صباه وكان من المهيئين لدراسة الفقه وقد برع فيه ولكن غلبت عليه ظروف وميول جعلت الشعر يغلب عليه . ثم أنظر إلى أبى الطيب المتنبي وأقرأ شعره تلمس فيه ثقافة واسعة عربية ويونانية ، ألا ترى نظرية العناصر الأربعة لدى اليونان وعليهم فى شعره عن الموت :

فهذه الارواح من جوه ... وهـذه الأجسـاد من تربه
يموت راعى الضأن فى جهله ... موته جالينـوس فى طبــه

بل هو يجعل الثقافة مما يوجب الفخر ومما يمدح به ممدوحة وصاحبه سيف الدولة الحمدانى فيقول عنه :

عليم بأسرار الديانات واللغى ... له خطرات تفضح الناس والكتبا

وأما رجال الحكم وموظفو الدولة فقد كانت الثقافة وسيلتهم لبلوغ المناصب السامية وعدتهم فى النهوض بها وبأعبائها . ففى العصر العباسى كان الوزير يجمع إلى الثقافة الحربية والمالية خطة القلم أى انفاذ الرسائل إلى مختلف الأقاليم والتوقيع على ما يعرض عليه من مطالب ورسائل وقد ترتب على هذا أنه كان من شروط الوزير أن يكون عالماً مطلعاً وكاتباً بليغاً . وكان لهؤلاء الوزراء أعوان يسمون

---

١ ) ضحى الإسلام — للمرحوم أحمد أمين — الجزء الثانى صفحة ٢١٨ ؟

الكتاب . فكان لكل وزير كاتب أو كتاب يعينونه ولولاة الأقاليم ورجال الدولة كتابهم كذلك فكان حماد عجرد مثلا كاتبا ليحي بن محمد بالموصل ، وكان ابن المقفع يكتب لابن هبيرة والى كرمان . كما كان عمرو بن مسعدة كاتباً للمأمون وعبد الله بن سوار بن ميمون كان يكتب ليحي بن خالد البرمكى .

وقد كان لهؤلاء الكتاب أثر كبير فى نشر نوع من الثقافة ، ذلك لأن ثقافتهم كانت أوسع من ثقافة غيرهم ، كما كانت معارفهم ودائرة اطلاعهم واسعة شاملة ، لانهم كانوا بحكم مناصبهم مضطرين أن يعرفوا أحوال الناس الإجتماعية وتقاليدهم وأن يعرفوا أطرافا من اللغة والأدب وعلوم الدين والفلسفة والجغرافيا والتاريخ ، لأن الكثير من مواقفهم يتطلب ذلك وقد تعرض للخليفة أو الوالى مسائل من هذا القبيل ، يضطر الكاتب أزاءها أن يكون ملما بجميع ذلك . وهكذا كان الكاتب أكثر اشتهارا بالثقافة من سواه ، وكثيرا ما كان يفوق المحدث أو الفقيه فى هذا ، فهذان ثقافتهما تدور غالبا حول علومها ووسائلها فى اللغة والنحو والصرف والأدب ، أما الكاتب فانه يزيد عن ذلك بكثير ، فكأننا بعد أن عرفنا الفقهاء تتسع ثقافتهم لتشمل العديد من العلوم والفروع والمعارف إذ بنا نجد الآن ان الكتاب طائفة أخرى أعرض ثقافة وأوسع معارفاً ويدل على ذلك ما ألفه الكتاب من كتب ، فمنها كتاب أدب الكاتب لابن قتيبة ، وكتاب أدب الكتاب لأبى بكر الصولى ومن أشهرها كتاب صبح الأعشى فى صناعة الانشا للقلقشندى وقد تعرض فيه مؤلفه لكل المعلومات والمعارف الإنسانية فى عصره : من تاريخ وجغرافيا وفلك وما يحتاج إليه الكاتب عمليا فى صناعته من خط ونحوه وأساليب الكتابات ومصطلحاتها وكيفية كتابة العقود . وما يتعلق بالكتب من البريد ومطارات حمام الرسائل والمنارات . . ولعل هذا

المسلك للكتاب هو الذى جعل أهل ذلك العصر يقولون أن الأدب هو الأخذ من كل شيء بطرف ، وبعد أن كان الأدب يعنى فى صدر الإسلام التهذيب الخلق ثم أصبح يعنى العلم باللغة والشعر وأيام العرب وتاريخها فى العصر الأموى ، أصبح مفهوم الأدب منذ العصر العباسى مرادفا لمفهوم الثقافى ويعبر عنه بالأخذ من كل شيء بطرف (١) .

**ثانيا : مفهوم الثقافة فى الفكر الغربى :**

كان الألمان أول من استعمل اصطلاح الثقافة Kultur وقالوا أنها هى الحضارة واستعملوها فى هذا المعنى زمنا طويلا . وفى عصر النهضة الأوربية كانوا يستعملون اصطلاح الثقافة للدلالة على الفنون والآداب الإنسانية، وعندلوك يستعمل لفظ الثقافة فى معنى تهذيب العقل وتهذيب الإنسان: Culture of the mind or of man ومنذ أيام الرومان ارتبط معنى الثقافة بمعنى الانسانيات مثل الأدب واللغة والنحو والمنطق والفلسفة ونفس هذا الاستعمال تبناه الألمان فى القرن التاسع عشر وكان يوهان فون هردر قد قال فى أواخر القرن الثامن عشر أن ثقافة الشعب هى دم وجوده أى أنها بمثابة الحياة لافراده ، أما الانجليز فذهبوا إلى أن الثقافة هى محاولة الوصول إلى الكمال الشامل عن طريق العلم بأحسن ما فى الفكر الإنسانى مما يؤدى إلى رقى البشرية وأن الدين من العناصر التى استعان بها الإنسان فى محاولته الوصول إلى الكمال .

ومنذ نصف قرن تقريبا تعارف المفكرون فى الغرب على أن الثقافة هى

---

(١) ضحى الإسلام — المرحوم أحمد أمين — الجزء الثانى صفحة ١٧٠ .

التهذيب ومحاولة الوصول إلى الكمال وانها جماع المعارف الإنسانية وذهب بعض المفكرين مثل ( اليوت ) إلى أن الثقافة تجسيد لدين الشعب وفى عام ١٩٧٠ عقدت منظمة الأمم المتحدة للثقافة والعلوم والتربية ندوة لمناقشة الحقوق الثقافية وقد نوقش فيها موضوع الثقافة كلها ونشرت ثمرة المناقشات فى كتاب يحمل اسم الحقوق الثقافية من حيث هى حقوق إنسانية :

Cultural rights as human rights .

ومن التعريفات التى وردت للثقافة فيه : أنها طريقة كل شعب فى حياته الخاصة وموقفه منها وآراؤه فيها وفلسفته تجاه مشاكلها ثم تصوره لوضعه فى الحياة (١) ولا شك أن طريقة كل شعب فى الحياة إنما هى نتيجة تراثه المتوارث من اللغة والعادات والتقاليد ونظام الحياة .

والثقافة ليست فى أى عصر مجرد معارف ومعلومات تلقن بل هى ثمرة ذلك التراث ، بحيث تظهر آثارها فى المجتمع والأسرة والفرد . وقد أصاب المفكر هكسلى حين قال : وثقافة الإنسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من الفنون والآداب ولكن بمقدار ما أفاده العلم وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو فى النفس ودقة فى الشعور وتذوق للجمال فالثقافة إذن تعنى السجية أو البديهة بالنسبة للفرد ، وبالنسبة للأمة فهى تعنى شخصيتها وروحها بحيث تكون ثقافة كل شعب مميزا له عن سواه ، ومن هنا فإننا نجد لكل أمه أو شعب ثقافته. فهناك ثقافه مسيحية وثقافه يهوديه وثقافه هنديه وكذلك للمسلمين ثقافتهم الإسلامية . وكما يختص كل شعب أو أمه بثقافته فكذلك يمكن أن يكون للعلم

---

( ١ ) الحضارة — الدكتور حسين مؤنس ص : ٣٦١ .

ثقافته التي تتصل بموضوعه وتأخذ طرفا من أبحاثه فتكون هناك ثقافة عسكرية أو صحية أو تاريخية وذلك إنما جاء نتيجة لتعدد العلوم وعمق التخصص فى كل منها وهذا ما يجرنا إلى الكلام عن الثقافة ومشكلة التخصص .

## « الثقافة ومشكلة التخصص »

أكبر سمات البحث العلمى فى العصر الحديث هى بروز مشكلة التخصص الدقيق منذ القرن الماضى بحيث أصبح نظام الدراسة فى الجامعات قائما على ذلك التخصص ولم يعد يكتفى بالتخصص فى علم واحد فحسب بل أصبح التخصص يرد على أحد فروع العلم فعلم التاريخ مثلا قد ينقسم إلى تاريخ قديم ومتوسط وحديث واسلامى وأندلسى وأوربى وحضارات وكذلك الشأن فى سائر العلوم النظرية والعملية وقد أدت مسألة التخصص العلمى الدقيق إلى نتيجتين بارزتين فى موضوع الثقافة نوردهما فيما يلى :

فأما النقطة الأولى فهى أنه لم يعد بوسع أى مثقف الآن أن يأخذ من كل علم بطرف لان التخصص جعل اعداد العلوم تصل إلى العشرات ولا مناص من أن يقصر المثقف همته على تحصيل قدر من المعارف التى تتصل بتخصصه . وإذا طبقنا ذلك فى مجال الثقافة الإسلامية فان المثقف أمامه علوم الادب واللغة والتاريخ الإسلامى والنظم الاسلامية وثقافة فقهية .

وأما عن النقطة الثانية فهى تتصل بالمتخصصين فى مختلف فروع العلوم إذ أن هؤلاء تقتصر معارفهم غالباً على ما تخصصوا فيه وقل أن نجد من بينهم من يحيط بثقافة عامة بجانب تخصصه وهكذا نجد المهندس أو الطبيب أو الكيمائى

لا يعرف أيهم إلا علمه وتخصصه فى الهندسة أو الطب أو الكيمياء . ولهذه آثاره الضارة : من حيث ضعف الروابط التى تربط بين المتخصص وبين المجتمع الذى يعيش فيه والعجز عن فهم مشاكل البيئة والناس . فضلا عن أن ذلك كثيراً ما يؤدى إلى التخلف الحضارى ونقص الإنتاج لقصور الجانب البشرى فيه، وقد فطنت لهذا عديد من الحكومات فأصبحت تدخل إحدى المواد الإنسانية إلى جانب الدراسة العلمية فى الكليات العلمية كالهندسة والزراعة والعلوم والصيدلة ، أو قد تجعل التعيين فى الوظائف العامة مرتبطا باجتياز اختبار فى بعض المواد من الثقافة العامة وذلك حتى يتكامل علم أولئك وهؤلاء فان علم المرء لا يتم إلا إذا علم شيئاً عن كل شىء وكل شىء عن شىء كما يقول الاوربيون .

وبالنسبة للثقافة الإسلامية فإنه ينبغى لغرسها فى النفوس وتأكيد قيمها لدى الشباب أن تكون مما يجبر المتقدمون للوظائف العامة على الاختبار فيه من حيث السير الإسلامية ومعالم التاريخ الإسلامى وجوهر الاحكام الشرعية وسمات المجتمع الإسلامى وخصائصه ، كما أن إحياء الثقافة الإسلامية وتأكيد وجودها إنما يتأتى عن طريق تعميق مفهوم الدين فى الحياة الإجتماعية وأخذ المجتمعات بأحكامه وآدابه فى حياتهم ومعيشتهم وأعرافهم وتقاليدهم والتمسك بالسنة الشريفة وبالاخلاق والآداب الإسلامية .

# الفـرع الثـالث

## الثقـافة الاسلامية

وإذا كنا قد رأينا أن العلوم التجريبية لا اختلاف حول مناهجها وموادها في مختلف دول العالم . في عصرنا الحاضر ، فانها تدخل إذن في مفهوم الحضـارة وفي نطاقها ، وهي بذلك تأخذ دوراً كبيراً في هيمنة الحضارة الأمريكية على الحضاره الأوربية من ناحية وفي ذوبان الحضارات الخاصـــة بالأمم الاوربية وانصهارها في حضارة واحدة السمات بعد أن ذابت الســمات القديمة التي كانت تميز كل أمة عن غيرها في نظام حياتها وطعامها وأدواتها ، ولا شك أن المستقبل يحمل صورة أوضح وأعمق للوحدة الحضارية تضم الأمم التي توحدت نظمهـا الإقتصادية والإجتماعية والسياسية وجعلت مصيرها المشترك مصيراً واحـــداً وذلك مثل أمم أوربا الغربية ، بينما نشاهد ـــ مع الأسف الشديد نقيض ذلك في شعوب الأمة الأسلامية حيث التباعد والتنافر .

وفي هذا العالم المعاصر الذى بدأت تذوب فيه الثقافات وتمـتزج بعضهـا في بعض أو يطغى بعضها على البعض الآخر ، ينبغي علينا ـــ كمسلمين ـــ أن نحرص كل الحرص على ثقافتنا الإسلامية لأنها مظهر ديننا ولا ينبغي أن نـترك أنفسنا ليجرفنا تيار التوحد الحضارى ، الذى يسرى في العالم بســرعة تناسب سرعة وسائل الانتقال فيه للمسافر والصورة والخبر .

صحيح أننا ـــ كأمة مسلمة ـــ لا ينبغي لنا أن نعيش بمعـزل عن العـالم المتحضر ولا أن نتخلف عنه ، وأننا يجب أن نبنى حضارتنا على « تكنولوجيا » العصر وعلى العلوم المكونة لها ولكن ذلك كله لا ينبغي أن ينسينا أنفسنـا ، فانه

الثقافة ليس لها إلا أن تظل مستقلة بالنسبة لنا مادام ان الإسلام هو منهجها » ولو أنمحت الفروق بين ثقافات الأمم لأصبح العالم كله أمة واحدة وهذا لن يكون فان الثقافة هى صميم الإنسان نفسه فالواقع أن تعدد الثقافات فى العالم هو من الأمور المسلم بها وقد عبرت عن ذلك ندوة الأمم المتحدة للثقافة عام ١٩٧٩ م . ثم أنه لا ينبغى لنا أن — ننسى أن اعتصام المسلمين بثقافتهم وغيرتهم الشديدة عليها هى التى أصابت هجمات الاستعمار على ديارهم بالبوار ، وجعلته يخفق فى غزوهم ثقافيا وفكريا ودينيا فتحقق هذا فى أندونيسيا التى خرجت من استعمار هولاندى استمر ثلاثة قرون محافظة على إسلامها ، والثقافة الإسلامية هى التى قضت على أمل فرنسا أن تجعل من الجزائر وشعبها أرضاً فرنسية وشعباً فرنسياً ، ولكنها أصابها الفشل رغم ما بذلت فى ذلك من جهود دائبة مضنية طيلة مدة إستعمارها التى استمرت مائة وأثنين وثلاثين عاماً تحمل خلالها الشعب الجزائرى أبشع المجازر البشرية ، وفقد مئات الألوف من سكانه (١) ، نساء وأطفالا ، شيوخا وشبابا .

**وحدة الثقافة الاسلامية :**

ولن ينال من المسلمين أعداؤهم — وهم أكثر مما يظنون — إلا مع تفرق كلمتهم وكثرة تنازعهم وذيوع الفتن بينهم ، وإذا كان مما لا ينكر اليوم أن المسلمين أمة واحدة تعيش موزعة بين شعوب عديدة ، إلا أن ذلك لا يمنع أن تكون لهم ثقافة إسلامية واحدة تجمع شتاتهم وتلم شملهم ، صحيح أنهم يتكلمون لغات عديدة أفريقية وهندية وفارسية وانجليزية وأندونيسية وعربية وصحيح

---

(١) أستشهد فى الجزائر اكثر من مليون شهيد .

أن لكل شعب عاداته وتقاليده ونظامه السياسى ، إلا أن ذلك كله لا يمنع أن تبرز فى حياتهم أواصر إسلاميه تجعل لهم قدراً من الثقافه يتفقون فيه وحداً أدنى يلتقون عنده . . . ، ينبغى لهم أن يحرصوا عليه كل الحرص ويتمسكوا به ويدافعوا عنه ضد غوائل الفكر والغزو الأجنبى — وهذه الأواصر هى : الأسس والقواعد العامه التى يقوم عليها بنيان الدين الإسلامى مما لا ينبغى أن يشذ عنه فرد أو مجتمع وترك هذا التهافت المزرى على العادات والتقاليد غير الإسلامية والواقع ان أهم ما ساعد على تفكك العالم الإسلامى هو هذا التناقض الواضح بين شعوبه وأممه فى مجال الثقافة ، أى فى العادات والتقاليد والأعراف بل إن هذا التناقض يبدو ظاهراً داخل المجتمع الإسلامى الواحد ، مما يضعف الروابط ويوهن القوى ويشتت الشمل ويفرق الكلمة ، ولا يخفى أن التعلق بثقافة غريبة عن الإسلام وبعيدة عنه ، إنما تكمن خطورته فى هدم المجتمع الإسلامى من الداخل ، لأن أولئك المتعلقين بثقافة معادية للاسلام إنما يحبون تلك الثقافة ويحبون أهلها وتراثها وفنونها وآدابها وأخلاقها فكيف يتسنى لهم أو يمكن أن يصبحوا بعد ذلك إلا مؤيدين لها بين ظهرانيهم وكيف يمكن لهم أن يحاربوها إذا دخلت عليهم تحطم تراثهم وتقاليدهم وهم لا يشعرون ! .

## المطلب الرابع

### المدنيـــــــــــة

لقد آثرت أن أعالج موضوعات الحضارة والثقافة والمدنية كموضوعات مستقلة للتأكيد على أنها ليست أمراً واحداً ، مع أن بعض الباحثين يعتبرونها كذلك . وبحيث تصبح هذه المصطلحات الثلاث مترادفات ثلاث لمعنى واحد ، فالحضارة

هى الثقافة أو المدنيه وقد يكون هذا الاتجاه قد جاء وليد الترجمة عن اللغات الأجنبية ومن كتابها من يعتبرها شيئاً واحداً وقد يكون من باب التعميم واطلاق معنى الكل على أجزائه كأن تقول ان اللغة والأدب والنحو والشعر والنثر شىء واحد مع أن الأدب غير النحو والشعر غير النثر وأن كان صحيحاً أنها جميعاً فروع للغة ولذلك لا يصح أن نقول إن الحضارة والثقافة والمدنية أمراً واحداً وإلا لما ساغ للعقل أن يستعمل تلك الإصطلاحات الثلاث ولا نستغنى بواحد منها عنها جميعاً . ويذهب البعض إلى أن المدنية هى الرقى فى العلوم العملية التجريبية كالطب والهندسة والكيمياء والزراعة والصناعة واختراع الآلى ويعتبر أن الرقى فى هذه العلوم يعد مدنية لارتباط الرقى فيها بالمدنية والاستقرار إذ لا بد للطب من مستشفيات ولا بد للهندسة من « ورش » ولا بد للزراعة من تجارب وهكذا . . أما الحضارة فتشمل الرقى فى المجالين معاً: أى العلوم التجريبية والعلوم النظرية (١) .

ويبقى بعد ذلك أن نذكر أن المدنية ليست هى تلك العلوم التجريبية وإنما قد تكون تلك العلوم ثماراً لقيامها والواقع ان المدنية وأن كانت أقرب فى الاشتقاق إلى المدينة والمدنى فانها تبدو فى فكرتها الأولى ضد البربريه والهمجية ، ونحن حين نقول ان الانسان مدنى بالطبع فانما نعنى بذلك أنه يميل إلى الحياة الجماعية بطبعه وفطرته ، ولا شك أن بين المعنيين شىء من الصلة فالمدنية لا يتصور أن تكون فردية ، بل هى ظاهرة اجتماعية لا تتوافر إلا مع قيام جماعة . ولا يمكن

---

(١) راجع موسوعة النظم والحضارة الإسلامية — مجلد الفكر الإسلامى للدكتور أحمد شلبى صفحة ١٥ .

تحقيقها إلا من خلالها فالمدنية إذن ظاهرة لا توجد إلا مع قيام جماعة إنسانية ، ثم لا بد وأن تكون تلك الجماعة قد بلغت درجة من الرقى الاجتماعى جعلتها تعرف النظام وتخضع له ، بأن تعرف الشرائع والقوانين فأمة بلا شرائع ولا قوانين ولاقوانين ولا نظم تحكمها هى أمة لا تعرف المدنية وتتصف بالهمجية وليس حتما أن تكون الشرائع سماوية بل كل شريعة تحكم الناس تؤدى إلى قيام المدنية طالما أنها تشيع النظام وتؤدى إلى المحافظة على الحقوق وإلى الاستقرار ولو كانت من الشرائع الوضعية وباختلاف النظم والقيم والشرائع تختلف المدنيات ، فهناك مدنيات الرومان والأغريق والبابليين والمصريين ولاشوريين والسبأيين ومدنيات الهند والصين . ولا يمكن أن يتصور أن التمايز بين تلك المدنيات القديمة كان قائما على التمايز فى العلوم التجريبية كالهندسة والطب والعقاقير ، فنى تلك العصور لم يكن لتلك العلوم من الذيوع والانتشار ما لها الآن . بل لم يكن العديد من العلوم التجريبية قد ولد بعد ، والواقع أن الذى ربما دفع إلى هذا الرأى فى اعتبار المدنية تعنى العلوم التجريبية هو اعتبار النتيجة سبباً . ذلك أن قيام المدنيات يؤدى إلى تقدم العمران وارتقاء الهندسة والصيدلة والطب والكيمياء كما ذكرنا آنفا .

ونرى تمشياً مع ما تقدم وتلخيصاً له ، أن المدنية نقيض البربرية وضد الهمجية ، والمتمدن بهذا يكون عكس البربرى والهمجى ، وقد تكون الأمة أو الشعب خلوا من المدنية والتقدم رغم ما قد يبلغانه من الحضارة والتحضر ، والإستعمال اللغوى يؤكد هذا المعنى فنى العربية نجد فى مختار الصحاح للرازى :— ويقال الرعاع والحمقى أنهم همج ، وفى الإنجليزية يطلقون لفظ بربرى على الهمجى غير المتمدن ( Barbarian ) ، كما يطلقون لفظى : **Barbarity**

و Barbarism على الهمجية والوحشية . والتمدن والمدنيـــة يأتيان من الالتزام بالنظم والقيم السامية ، فجميع الشعوب المتمدينة عندها احساس بالقيم وباحترام الفرد والمجتمع لها وهى كذلك حريصة على المحافظة على حقوق الفرد وحقوق الجماعة .

والأمصار أى أن إنشاء القرى والأمصار نتيجة للحضارة وليس أصـلا لها ومعنى هذا ان الجماعة ترقى فكرياً ثم مادياً أى تبدأ عندها مظاهر الحضـارة ثم تستقر لتنمى حضارتها لأن نمو الحضارة يحتاج إلى استقرار لتقوم العـــلوم التجريبية ولتشييد المعامل ولتنهض الزراعة والصناعة والحقيقة أن المدنية تعد فى رأينا آخر مرتبة فى نواحى التطور الحضارى بمعنى أنها تأتى تاليـة لكل من الحضارة والثقافة أو بعبارة أخرى يمكن أن ـــ يتوفر لشعب أو لأمة حضارته الثقافية ، ثم لا يوجد لديه مدنية ، وقد سبق أن ذكرنا أن أى مجتمع إنسانى له حضارته وله ثقافته أيا كان حظه منهما ، وسواء كان مجتمع رعى أو صيـد أو زراعة ، أما المدنية فهى غير هذا أنها تتطلب قيام النظـام الاجتماعى وخضوع أفراد المجتمع لهذا النظام ، ولما كانت المدن لا تنشأ إلا فى أعقاب نشوء القرى وانتشارها ولما كانت المدينة تقوم لكى تكون حاضرة القرى ومقر السلطة المنظمة الحاكمة فيها فان اصطلاح المدنية يعنى كل هذا : يعنى قيام المدينة ويعنى أنها مركز يهيمن على القرى حولها . ويعنى آخر الأمر استقرار السلطة التى تحقق النظام والاستقرار لسكان المدينة والقرى جميعا .

ومما يهمنا أن نؤكد عليه أن المدنية والتمدن لا تخرج عن هذا المعنى الذى ذكرناه وهو وجود النظام المدنى الذى يحكم الناس بالشرائع والقوانين .

وقيام السلطة الآمرة فى المدن والعواصم . التى تحكم القرى والريف والبادية . ونلمس هذا فى العديد من كتب التاريخ والحضارة ومنها تاريخ التمدن الإسلامى لجرجى زيدان ، فإن المواضيع التى تناولها هذا المؤلف : تاريخ التمدن الإسلامى تبدأ بالتمهيد الذى يقول فيه : « البحث فى تمدن الأمة يتناول النظر فيما بلغت إليه من سعة الملك والعظمة والثروة ووصف ما رافق تمدنها من أسباب الحضارة وثمارها (١) ، ويتناول فى الجزء الأول من مؤلفه هذا فى كلامه .

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامى — لجرجى زيدان — الجزء الأول ص ١٢ .

# الفصل الثانى

## ركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها

نتكلم فى هذا الفصل عن ركائز الثقافة الإسلامية فى مطلب أول ثم نبين خصائها فى مطلب ثان .

## المطلب الأول

### ركائز الثقافه الاسلاميه

نقصد بركائز الثقافة الإسلامية الأسس التى تقوم عليها والمصادر التى تمدها بما يكونها ، ذلك لأن الثقافة هى تعبير عن روح المجتمع وصورة لأفكاره وعقيدته وإذ تختلف المجتمعات على ظهور الأرض فإن الثقافات تختلف وتتنوع كذلك وتلك سنة الله فى خلقه ، يقول تعالى : يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا (١) ، فلكل مجتمع خصائصه وله كذلك ثقافته وإذا تأملنا ثقافة أى مجتمع عرفنا عقيدته وقيمه وأفكاره وأوضح دليل على ذلك المجتمع العربى القديم الذى كان يعيش فى جزيرة العرب قبل الإسلام ، فإن ثقافته فى العصر الجاهلى تختلف كثيراً عن ثقافته بعد ظهور الإسلام ، حيث تأثر به تأثيراً عميقاً ، ظهر فى كل جوانب الحياة الإجتماعية والفردية ، والثقافة الإسلامية حيث نبحث عن ركائزها وأسسها نجدها ترتكز على أصول دينية وهى فى نفس الوقت تتفق مع الفطرة الإنسانية ،

---

(١) ـ الحجرات من آية ١٣ .

**أولا : الاصل الدينى :**

إن الدين هو أقوى المؤثرات فى تكوين الفرد والمجتمع ، وذلك لأنه يتغلغل فى أعماق النفس الإنسانية ويتحكم فى المشاعر والعواطف والوجدان ، ويؤثر تأثيراً عميقاً لا فى تكوين الخلق وفى دوافع السلوك وبالتالى فى تكوين العرف والتقاليد والعادات .

وقد ظهر أثر الإسلام المقوى فى تكوين الثقافة الإسلامية لأنه دين كامل الجوانب شامل لجميع نواحى الحياة فالإسلام ينظم حياة الفرد مع خالقه بسن العبادات من صلاة وصيام وحج وتقرير عقيدة التوحيد التى تجعل الفرد لا يؤله غير الله ولا يتوجه فى أعماله إلا إليه ، ثم ان الإسلام قد نظم روابط الفرد بغيره ، فوضع له أحكام رابطة الزوجية وحدد حقوق كل من الزوجين وواجباته قبل الآخر ، وكذلك الحقوق والواجبات المتبادلة بين الآباء والأبناء ونصيب كل وارث ، وأخيراً وضع الإسلام الأسس التى تقوم عليها علاقة أفراد المجتمع بعضهم ببعض وما لكل من الفرد والمجتمع من حقوق وواجبات متبادلة وجاء تأثير ذلك كله فى الثقافة واضحاً بارزاً فقيم المجتمع الإسلامى وأفكاره وتقاليده تنبع من تلك الأحكام الإسلامية ونجد الأمثلة على ذلك عديدة متنوعة فالتربية الدينية للنشىء وتجنب العمل الذى تحرمه الشريعة وكذلك تجنب شرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة وإباحة التجارة والبعد عن الربا ، وإقامة نظام الزواج على سنة الله ورسوله ﷺ واتباع قواعد الأخلاق فى المعاملات الفردية والإجتماعية وفى علاقات المسلمين بغيرهم فى السلم والحرب وإنشاء المساجد وتعميرها كل ذلك وغيره كثير من مظاهر الثقافة الإسلامية التى نبعت من الإسلام وارتكزت على قواعده .

وليست الثقافة الإسلامية هي وحدها التي تقوم على الدين فالثقافة اليهودية قد قامت على أساس ديني كذلك ، ولازال اليهود حريصين على ثقافتهم منذ أقدم العصور حتى وقتنا الحاضر ولا يتركون مجالا لأى ثقافة أخرى لتؤثر فى ثقافتهم وقديما كان لقدماء المصريين فى ظل الفراعنة ثقافة متميزة قامت على أساس الدين الذى كانوا يدينون به قبل رسالات السماء وقد ظهرت آثار عقائدهم الدينية فى بناء الأهرام التى تدل على سيطرة فكرة الموت على ثقافتهم وفى الكتابات والنقوش التى تركوها على آثار جدران معابدهم الدينية وفى النظم والقوانين التى كانوا يسيرون عليها ويعملون وفقاً لها ، وتدل قصة فرعون مع موسى عليه الصلاة والسلام على مدى تأثير العقيدة الدينية على مسلكه معه ، إذ قارعه وناظره بالسحر والسحرة .

وقد اندثرت ثقافة قدماء المصريين حين جاءت الشرائع السماوية ودان المصريون بالمسيحية فى أول الأمر ثم بالإسلام بعد ذلك .

غير أن الثقافة الإسلامية تتميز عن أى ثقافة أخرى بميزتين هامتين هما النقاء والخلود .

**أما النقاء** : فنقصد به أن الثقافة الإسلامية وهى تستمد وجودها من قواعد الإسلام فانها تضمن أن تظل ثقافة نقية لا تشوبها أية شوائب أو مؤثرات خارجية ، والسبب فى ذلك هو أن الإسلام قد حكم الله تعالى بحفظ مصادره إذ قال تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون (١) فقد كتب الله أن يحفظ الذكر الحكيم ، فلا تبديل لكلمة ولا حرف منه ، والقرآن الكريم هو أصل

---

(١) — الحجر : ٩ .

الإسلام ومصدر كل أحكامه والسنة النبوية الشريفة قد صانها المسلمون وحافظوا على صحتها واستبعدوا منها ما فيه مظنة الوضع أو الشك ، وجمعت فى مسانيد صحيحة هى المسانيد الخمسة المعروفة والرسول عليه الصلاة والسلام قد جعل الكذب عليه من الكبائر التى توجب لصاحبها النار فقال عليه الصلاة والسلام :

من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار (١) .

فلا خوف أن تصيب المسلمين فى ثقافتهم ما أصاب غيرهم من الأمم من تبديل وتحريف وسوف تظل الثقافة الإسلامية ، نقية خالصة من كل الشوائب باذن الله ، ما تمسك المسلمون بدينهم وحافظوا على تراثهم .

**أما الخلود** : فيقصد به بقاء الثقافة الإسلامية إلى أن تقوم الساعة لأن الإسلام هو آخر الأديان وفى بقائه وخلوده استمرار للثقافة الإسلامية لأنها عنه تأخذ وعن المسلمين تنبثق ولا يزيد مرور الزمن الثقافة الإسلامية إلا قوة ورسوخاً ، لأنها تثرى بالتجارب وتقوى بالممارسة وتقوى على رد هجمات الثقافات الأخرى التى تنوشها بين الحين والحين .

يقول تعالى : كتب الله لاغلبن انا ورسلى ، ان الله لقوى عزيز (٢) . ومن الأدلة الظاهرة على ارتكاز الثقافة الإسلامية على الدين الإسلامى وتأثرها الشديد به ، انك نرى أكثر الكتب رواجا لدى قراء المسلمين هى الكتب التى تتصل بالثقافة الإسلامية ويتناول موضوعاتها ، لحرص كل مسلم على ربط نفسه

---

(١) ـ البخارى كتاب الادب حـ ١٠ ص ٤٠٠ .

(٢) ـ المجادلة : ٢١ .

بعقيدته وفهم كل ما يتعلق بها و بسلوكه فى الحياة . على أن بقاء الثقافة الإسلامية وخلودها يتوقف على مسألة جوهرية هى مدى حرص المسلمين على التمسك بعقيدتهم وغيرتهم على دينهم فكلما ازداد عندهم ذلك الحرص ظهرت آثار ذلك فى ثقافتهم وفى شموخها وتميزها .

**ثانيا : اتفاق الثقافه الاسلاميه مع الفطرة الانسانيه :**

ليس معنى أن الثقافة الإسلامية ترتكز على أساس دينى ، انها ثقافة مفروضة على النفس الإنسانية ، وان الإنسان مجبر على الاخذ بها كما هو الشأن فى القوانين والنظم الوضعية ، ولكن على العكس من ذلك نجد أن الثقافة الإسلامية تمثل حياة الإنسان وتتفق مع واقعه وطبيعته وذلك بسبب هام هو أن الإسلام دين الفطرة وأنه الدين الذى يلبى حاجات النفس الإنسانية ويحقق لها ما تصبوا إليه من إشباع رغبات النفس والجسد دون ضرر ولا ضرار .

كما أن الإسلام يحقق التوازن فى حياة الفرد والمجتمع بين القيم المادية والقيم الروحية ، بين ما تتطلبه الحياة الدنيا فى أمور المعيشة وبين ما تقتضيه الحياة الآخرة من الإعداد لها وتقديم العمل لاجلها ، ولولا اتفاق الإسلام مع فطرة الإنسان وتلبيته لحاجاته الأساسية ورغباته السامية جميعاً ما نجح هذا النجاح ولما ازداد الناس تمسكا به على مر العصور ، ولكان من الممكن أن يلقى ما لقيته الديانات الأخرى التى لا تتفق مع الفطرة الإنسانية من انفصام بينها وبين الواقع الذى يعيشه معتنقوها ، وقد لمس المسلمون على مر العصور ان الشقاء يحالف كل من يبتعد عن أحكام الإسلام ، فزادهم ذلك حرصاً على التمسك به والاطمئنان إلى الثقافة والحضارة التى تقوم على أساس بنيانه العظيم .

# المطلب الثـــانى

## خصائص الثقافه الاسلاميه

لكل ثقافة خصائصها التى تعتبر من سماتها وتتميز بها عن الثقافات الأخرى ، والثقافة الإسلامية لها أيضا خصائصها وأهم تلك الخصائص ما يلى : —

**أولا : الشمول والاتساع :**

ليس فى الحياة الإنسانية جانب لا تصل إليه الثقافة الإسلامية فهى حاضرة فى حياة الفرد منذ ولادته وحين يكون طفلا وشاباً وكهلا تنظم له سلوكه وترسم له طريقه ، والقرآن الكريم لم يترك فى حياة الفرد والأسرة والمجتمع والدولة شيئا لم ينظمه ويضع له ضوابطه وقواعده ، يقول تعالى « ما فرطنا فى الكتاب من شيء » والرسول عليه الصلاة والسلام قد بذل جهده فى جلاء كل مسائل الدين وتتبع كل جوانب الحياة بالتوضيح والابانة ، وليس الإسلام دينا يقتصر على العبادات فحسب ، بل انه يتناول معها جوانب أخرى كالمعاملات والحدود والعلاقات الدولية وتنظيم الدولة على أساس مبادىء الشورى والعدالة والمساواة ومن الجهل أن يتصور إنسان ان الإسلام إنما جاء بقواعد لتنظيم الجانب الدينى فى حياة الإنسان فحسب ، وذلك لأن العقيدة الإسلامية تمتد أحكامها إلى كل عمل يقوم به الإنسان ، أيا كان ذلك العمل ، وهى تحتم أن يكون بدء أى عمـــل مسبوقاً بذكر الله تعالى والاتجاه اليه بالنية فى ذلك العمل .

والأخذ بتعاليم الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكاً ومنهاجاً للحيـــاة يصبغ الحياة الإنسانية والثقافة أحد جوانبها الهامة — بصبغة إسلامية ويتجلى ذلك فى البيع والشراء ، وفى السفر والإقامة وفى التعليم والفنون ، وفى الإقتصاد والإدارة

وفى الجيش والحكومة ، وفى الزى والطعام والشراب وآداب السلوك وقواعد الأخلاق . ونورد فيما يلى أمثلة تبين لنا مدى تأثير الإسلام بمنهاجه الشامل فى كل نواحى الحياة ومدى تأثيره فى الثقافة على وجه الخصوص . —

( ١ ) — فبالنسبة للبيع والشراء : يحظر على المسلمين التعامل فى سلع معينة كالخمر والخنزير ، كما يحظر عليهم التعامل فى وقت معين ، وهو وقت صلاة الجمعة لقول الله تعالى : يا أيها الذين آمنو إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذالكم خير لكم إن كنتم تعلمون . ( الجمعة : ٩ ) .

( ٢ ) — وبالنسبة للملابس والزى : يظهر أثر الإسلام فى عدم اعتبار الزى وسيلة خيلاء وفخر ، وان لباس التقوى هو خير لباس ويقول الحق سبحانه وتعالى : يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشا ، ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ( الاعراف : ٢٦ ) .

ويقول الرسول عليه السلام : لا ينظر الله إلى من جر ثوبه خيلاء .

( البخارى : كتاب اللباس باب رقم ١ ) .

كما يوجب الإسلام أن تستر الملابس العورة ، واعتبار جسد المرأة كله عورة يجب سترها ما عدا الوجه والكفين بقول تعالى : يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى ان يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما ( الأحزاب : ٥٩ ) .

وأخيرا نجد بالنسبة للزى أن الرجال لا ينبغى لهم التشبه فى زيهم بالنساء ولا النساء يجوز لهن التشبه فى زيهن بالرجال فقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين

عن الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال (البخارى — كتاب اللباس — باب رقم ٦١).

(٣) — كما يظهر أثر الإسلام جليا فى الثقافة الإسلامية فيما يتعلق بآداب السلوك فهو يضع لها من القواعد ما يغنى المسلمين عن كل قواعد الأدب المتواضع عليها فى المجتمعات غير الإسلامية والتى اصطلح على تسميتها بقواعد «الاتيكيت». فالإسلام يوجب الإستئذان قبل دخول المسلم بيتاً غير بيته : يقول تعالى (يا أيها الذين آمنوا ألا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون ، فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجوا فارجعوا هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم (الـ ٢٧ - ٢٨ سورة النور). ونظم الإسلام الاستئذان حتى بين أفراد الأسرة الواحدة ، يقول تعالى : يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء. ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليكم حكيم (النور : ٥٨).

وعن أبى هريرة قال رسول الله ﷺ : يسلم الراكب على الماشى والماشى على القاعد والقليل على الكثير وقال أيضاً : يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير. وعن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه وعن عبد الله قال النبى ﷺ : إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس فإن ذلك يحزنه وهكذا تجد الثقافة الإسلامية تستمد من معين لا ينضب ، فتملأ النفس بمعارف شاملة فى كل نواحى الحياة وقواعد واضحة للعمل والسلوك.

**ثانيا :ـــ صلاحيتها للانسان وللحياة :**

ان "ثقافة الإسلامية تقدم للانسـان ما يصلحه فى نفسه وعقله وجسمه وما يجعل شخصيته قادرة على مواجهة الحياة ، وهى فى ذلك تسلك سبيـلين : اولهما وقاية الإنسان من الأخطار والشرور ـــ وثانيهما : مده بما يشفى سقمـه ويزيل الضرر عنه ويحل مشاكله ، فالثقافة الإسلامية منهجها ذو شقين : أحدهما للوقاية والآخر للعـلاج .

فاما الوقايه فهى تقى الإنسان المسلم من غوائل الثقافات الأجنبية والدخيـلة التى إن تسربت أدت إلى ضياع القيم واضمحلال الشخصية وذهاب الإستقلال الفكرى والعقائدى والثقافات الغازية لا تنفذ إلا إلى مجتمع خال من أى ثقافـة مجرد عن كل عقيدة ، حيث تجد المجال رحبا والنفوس خاوية وكذلك قد تغزو الثقافات الأجنبية مجتمعاً لا يعتز بثقافته ولا يكافح عنها باصرار .

وأما العلاج فيتمثل فى أن الثقافة الإسلامية تبدد عن الانسان الحيرة وتزيل من نفسه الريب والشكوك ، فكم من اسئلة يتردد صداها فى نفوس الشباب ولا يجد الجواب الشافى إلا من خلال ما يجده أمامه من مبادىء وأفـكار فى الثقـافة الإسلامية وربما لولا هذه الثقافة لاتجه إلى ما يضله ولا يهديه وإلى مـا يزيده حيرة وتخبطاً .

ولذلك فنحن نجد أن كل أمة من امم العالم حريصة على ثقافتها وما تحويه من قيم وأفكار وآراء وتعمل فى الوقت نفسه على تقديمها لكل جيل من أبنائها حتى يتواءموا مع واقعهم ويقتنعوا بسلامة اتجاههم ومن أولى من المسلمين بالحرص على كل ذلك ؟ وقد يقول قائل ان فى التربية الدينية العلاج لهـــذا

وكذلك فيما تقوم به المساجد والجواب ان فضل كل أولئك مذكور غير منكور» ولكن دورهما يعتمد على نقل التراث الدينى والفقهى ودورهما أقرب إلى التعليم أما الثقافة الإسلامية فدورها يختلف عن ذلك ، فهى تناقش القضايا والمشاكل التى قد تجول بالخواطر أو تتداولها العقول وتبحث عن الجواب السليم فى الإسلام وأحكامه ومبادئه مع الاستعانة بالعلم ومنطقه وبتدبر آيات الله وسننه والتأمل فى ملكوته وصدق الحق سبحانه وتعالى إذ يقول : أفـلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور . ( الحج : ٤٦ ) .

فالثقافة الإسلامية تفتح الذهن للتفكير فى الاتجاه الصحيح ليجمع المسلم بين النقل والعقل وبين الإيمان والإطمئنان ويغلق الباب فى وجه الاعيب وعبث شياطين الجن والإنس على حد سواء »

أما عن صلاحية الثقافة الإسلامية للحياة ، فذلك لأن اصلاح الفرد يؤدى إلى فلاحه فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ومن زالت شكوكه وتبددت أوهامه ولم تشغل باله الافكار العقيمة والآراء السقيمة فهو حرى أن يكون من هداهم الله وأصلح بالهم ، وسوف ينصرف إلى حياته مقبلا عليها بنفس مطمئنة راضية يعمل الخير ويؤثر البر ويفر من الشر .

ثم أنظر إلى الحياة فكيف تكون فى مجتمع عمته الفضيلة واهتدى أفراده بنبراس الإيمان واطمأنوا إلى الإسلام ديناً ومنهجاً وسلوكاً .

**ثالثا :— وحدتها وتناسقها :**

تستند الثقافة الإسلامية إلى أحكام الإسلام وتستهدى بمبادئه والإسلام دين

الله القويم لا يتطرق إليه خلل ولا يعتريه تناقض ومن هنا فالثقافة الإسلامية تتسم بتناسق الموضوع ووحدة الهدف ، فلا نجد فيها رأياً ولا فكرة تناقض غيرها ، أو تتعارض معها وكل ما فيها يتجه إلى هدف واحد بعيداً عن تفرق السبل وتعدد الغايات وذلك الهدف هو الهداية والطمأنينة وصدق الحق سبحانه وتعالى إذ وصف كتابه الحكيم فيقول : أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا — فيه اختلافا كثيراً ( النساء : ٨٢ ) ونحن لا نجد فى الثقافة الإسلامية اختلافا لا فى الوسائل ولا فى الغايات وهذا من فضل الله العظيم وجميل رحمته بالمسلمين ، وهذه الوحدة وهذا التناسق الذى يميز الثقافة الاسلامية هو علامة قوتها ودليل صلاحيتها .

**رابعا :— بثها روح التمييز فى الامة :**

جاء الاسلام دينا خالداً للناس كافة ، فهدى الله إليه أمما وشعوبا شتى من العرب والعجم والبربر والهنود والزنوج وقاطنى الجزر فى أندونيسيا وجنوب آسيا ، جمعتهم أواصر الدين باقوى مما تجمع أواصر الدم والقربى فاصبحت تلك الامم والشعوب أمة واحدة هى أمة الاسلام تشهد بالله ربا واحداً وبمحمد ﷺ رسولا ونبياً خاتما لكل الرسالات ، وبالقرآن الكريم كتابا هاديا وبذلك تحقق فيهم قول الحق سبحانه وتعالى : واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين ( الاعراف ٨٦ ) وقوله جل وعلا : واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته إخوانا ه . ( آل عمران ١٠٣ ) هذه الأمة المسلمة الواحدة ، أصبح لها بفضل الله ثقافتها التى تتميز بها عن سائر الأمم الاخرى ، وليس فى هذا التميز معنى التكبر أو الاستعلاء أو إحتقار الامم الأخرى ، وإنما يعنى

المحافظة على السمت وعلى صبغة الله تعالى ومن أحسن من الله صبغة ، وأن يكونوا أمة وسطاً بين الأمم جميعاً ما سبق فيها وما لحق وهم كما أخبر عنهم الله تعالى خير أمة أخرجت للناس يقول تعالى : كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون (آل عمران : ١١٠) اثنى الله تعالى على الأمة الاسلامية ما تميزت به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهى أمة عطاء وطاعة ، عطاء من آتاهم الله أمر المسلمين وعلمهم بعلمه وفقههم فى دينه فتبذلون النصح لمن يحتاجه ويأمرون بالخير والبر من هم أهل لهما ، فقد قال رسول الله ﷺ :

من تشبه بقوم فهو منهم (١) ،

كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال ليس منا من تشبه بغيرنا (٢) .

وورد انه عليه الصلاة والسلام قال :

لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى (٣) .

**خامسا :— ايجابيتها :**

يقصد بايجابية الثقافة الاسلامية تقديمها الحلول لكل ما يصادف المسلم من مشكلات ولكل ما يثور فى نفسه من تساؤلات ، فهى لا تترك قاصدها بلا جواب ومن مظاهر هذه الايجابية ما يلى :

---

(١) — مسند أحمد جـ ٢ ص ٥٠ .

(٢) — الترمذى كتاب الاستئذان باب رقم ٧ .

( ١ ) — ان الثقافة الإسلامية تدعو المسلم إلى التفكر والتدبر ويذم الله أولئك الذين لا يسمعون فيقول سبحانه وتعالى لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ، ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ( الانفال ٢١ ، ٢٢ ) .

( ٢ ) — وليست أحكام الإسلام ومبادئه بمثابة قيود تكبل إرادة الإنسان وتصطدم مع ميوله ورغباته كما قد يتبادر إلى ذهن بعض الغافلين ، فإن الأصل في الأشياء الاباحة وليس التحريم ، وحتى بالنسبة للتحريم فإنه يجيء كقواعد وقائية لحفظ الفرد والمجتمع معا ، وفى الوقت الذى وضع فيه الإسلام تلك الموانع الوقائية واكد على الالتزام بها أتاح أمام الإنسان مجال الحياة فى إشباع تطلعاته ونوازعه إشباعا منظما فحين يقول الحق سبحانه وتعالى : قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن ( الاعراف : ٣٣ ) يقول كذلك قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق ( الاعراف : ٣٢ ) ، وما حرمه الإسلام لا يهدف إلى تحويل المسلم إلى إنسان سلبى ليس له إرادة وإنما يهدف إلى تطهير مجال حركة الإنسان فى حياته حتى يجيء عمله وسعيه متوائما مع سنن الله تعالى فى الحياة والأحياء .

( ٣ ) — والإسلام حين أبان الحرام وأمر باجتنابه ، لم يترك الفرد بعيداً عن مسئولية المشاركة فى منع الحرام ، فهو الذى يراقب نفسه بواسطة ضميره يقول تعالى : بل الإنسان على نفسه بصيرة ( القيامة : ١٤ ) وهو بالنسبة لغيره يتحمل مسئولية كبرى : مسئولية الراعى عمن يرعاه وفى هذا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع

وكلكم مسئول عن رعيته » متفق عليه » (١) والفرد يتحمل مع المجتمع مسئولية إيجابية كبرى هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ويقول ﷺ «
من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ( رواه مسلم ) (٢) » 

وقد أبرز الرسول عليه الصلاة والسلام معنى الحرص على الإيجابية فى خلق المسلم عند ما قال : مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استعملوا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً .

ويبين أبو بكر رضى الله عنه عاقبة التفريط والتساهل فى السكوت على المنكر يرتكب فيقول : انكم تقرأون قول الله تعالى ( يا أيها الذين أمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل ان اهتديتم ) وانى سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده (٣) .

**سادسا : أخلاقيتها :**

أسوأ ما يشين الثقافات الوضعية هو ما يتخللها من المظاهر والقواعد غير

---

( ١ ) رياض الصالحين للامام النووى ص : ٩٥ .
( ٢ ) رياض الصالحين للامام النووى ص : ٦٧ .
( ٣ ) الإسلام وبناء المجتمع الفاضل للدكتور يوسف عبد الهادى الشال ، صفحة ١١٧ .

الأخلاقية لأنها من وضع البشر ، وبعيدة عن تأثير الدين والإنسان حين شرع وينظم لنفسه تغلبه الأهواء وتسيره غرائزه وشهواته فلا يرى القبيح قبيحا وإنما يراه حسنا بتزين الشيطان وما تسوله النفس :

وهكذا نرى لدى العديد من الثقافات غير الإسلامية المنكر والرذائل وقد أضحت من سماتها ولا تعاب لديها , فالتبرج والعرى من حقوق النساء والزنا والقمار مما لا يستنكر ولا يعاب ، والخمر والربا من المألوفات ، واعراض الغنى عن الفقير والقوى عن الضعيف أمر ليس فيه مساس بالأخلاق ، وهكذا نجد تلك المجتمعات تعيش فى ظل ثقافات غير أخلاقية وهى تحسب أنها بذلك تحسن صنعا وتتجه نحو خير الإنسان ، وتظن أن فى ترك الدين ومبادىء الأخلاق الواردة فيه ما يساعد على التقدم والتطور وينأى — بالإنسان عن عوامل التخلف والجمود . . ولم تدرك تلك الأمم أنها بذلك تصنع بيديها حضارة وثقافة تدمر ما تعمر وتأكل ما تلد وأن بينها وبين التقدم الحقيقى آمادا بعيدة وذلك لأن التقدم الحقيقى هو ما تحقق فى داخل الإنسان وارتفع به عن مستوى الحيوان والغريب ان كل خروج عن الأخلاق فى الثقافات غير الأخلاقية هو تحت اسم التقدم وفى سبيل تحقيق خطواته أو هو نوع من ممارسة الحرية الفردية ، وبذلك عادت تلك الثقافات إلى مبادىء بعض فلاسفة اليونان من اعتبار الغاية من الحياة هى تحقيق اللذة وتحصيل المنفعة أيا كانت الوسائل التى تتبع فى ذلك . . ونحن نحمد الله ان ثقافتنا الإسلامية تقوم على الأخلاق ، ولا تخرج عليها فى أى جانب من جوانبها والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ، وقد أثنى الله تعالى على حسن خلقه فقال « وإنك لعلى خلق عظيم » والمسلمون قدوتهم وأسوتهم الحسنة فى رسولهم عليه الصلاة والسلام « لقد كان

لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر » وعن مسروق قال كنا جلوسا مع عبد الله بن عمر ويحدثنا إذ قال لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشاً وإنه كان يقول ان خياركم احاسنكم أخلاقا » (١) .

وهو عليه الصلاة والسلام يثنى على الحياء فعن عمران بن حصين قال النبى ﷺ : الحياء لا يأتى إلا بخير وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال مر النبى ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه فى الحياء يقول إنك لتستحى كأنه يقول قد أضربك فقال رسول الله ﷺ دعه فإن الحياء من الإيمان وعن أبى مسعود قال قال النبى ﷺ ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت (٢).

وهكذا يجعل الإسلام للاخلاق وازعين ، وازع من التشريع وأحكام القرآن الكريم والسنة الشريفة ووازع من الإنسان نفسه يتمثل فى الحياء الذى يتقى صاحبه من الاثم ويجعل النفس تطمئن إلى الخير ، فان النفوس كلها قد منحت بفطرتها قوة التمييز بين الخير والشر والعدل والظلم والتقوى والفجور « ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها » بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره » ثم لا يكتفى الإسلام بأن يجعل تلك البصيرة قوة كاشفة معرفة ، بل يجعلها آمرة ناهية ، وينعى على من يخالفها بأنه من أهل الضلال والطغيان « أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون » وهنا يكون من الواجب الخضوع لأوامر الاحلام والعقول متى اتضح أمامها طريق الحق والخير وكذلك يقول رسول الهدى ﷺ : إذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه يأمره وينهاه .

---

(١) صحيح البخارى جـ ٧ ص ٨٢ .
(٢) صحيح البخارى جـ ٧ ص ١٠٠ .

**سابعا : رعايتها للوحدة الانسانية :**

لم يبعث محمد ﷺ إلى امة واحدة وإنما بعث للناس كافة وجاء الإسلام رسالة عامة للبشرية كلها ، ومن هنا كانت كل أحكامه صالحة لجميع بنى الإنسان ، ونجد ذلك متمثلا فى المعاملات والحدود والعبادات والعلاقات الدولية ومعاملة المسلمين لغيرهم من أهل الكتاب والمشركين ، حيث جاءت أحكام الإسلام مفصلة لكل حالة من تلك التصرفات والعلاقات والمسلمون لا يعيشون منزويين بثقافتهم لا يختلطون بمن سواهم من المجتمعات وإنما أباح لهم الإسلام التعامل مع غيرهم مع البر والعدل فى المعاملة يقول تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ( الممتحنة ٨ ) .

وجاء القرآن يحمل لسان الدعوة إلى سبيل الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة يقول الحق سبحانه وتعالى : أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ( النحل ١٢٥ ) وينادى أهل الكتاب ويدعوهم إلى إتباع صراط الله المستقيم والتصديق بالقرآن الكريم فيقول سبحانه وتعالى : يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور باذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم ( المائدة ١٥ و ١٦ ) .

رسالة الإسلام هى رسالة التوحيد يدعو اليه أصحاب الديانات الأخرى من أهل الكتاب فيقول الحق جل وعلا .

«قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بانا مسلمون (آل عمران : ٦٤).

وطاعة من وجبت عليهم طاعة أولى الأمر وأهل الرأى والنصح والدعوة وهذا شأن المسلمين الذى ينبغى أن يكونوا عليه أبدا ويبين لنا الحق سبحانه وتعالى ان ذلك منهج ينبغى الحرص دائما عليه فيقول تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون — (آل عمران ١٠٤)

وبهذا يصبح للأمة الإسلامية ما تتميز به دائما : إنها أمة الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، تشيع بينهم المودة والرحمة وتسودهم روح التآلف والوحدة ويجمعهم صراط الله العزيز الحميد ويتحقق فيهم قوله تعالى : والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم (محمد : ٢) محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع — ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما . (الفتح : ٢٩)»

والإسلام يحث على هذا التميز ويشجع المسلمين عليه حتى تكون للمسلمين ذاتيتهم ويتحقق لكيانهم استقلاله ولا يتسرب إلى شريعتهم وعقدتهم دخل من هنا وهناك فيصبحون اوشابا وزمرا متفرقة متنافرة .

وإن أى أمة لا تحافظ على ثقافتها تفقد وجودها وكرامتها فعلينا الاعتزاز بثقافتنا واعتبارها دليل وجودنا وعلامة إستقلالنا . وقد نهانا الرسول ﷺ أن نتشبه بغيرنا .

**ثامنا : النزعة المثالية :**

ينحو التشريع الإسلامى نحو المثالية ، ويحث الفرد والمجتمع على السعى اليها والدأب لتحصيلها ولكنها ليست مثالية خيالية تنأى بالإنسان عن الواقع وتضع له مالا يستطاع إدراكه بل أنها مثالية فى حدود طاقة الإنسان فإن الله تعالى لا يكلف الإنسان إلا ما يطيق يقول تعالى :

لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به وأعف عنا وأغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين : « البقرة آية ٢٨٦ » وتتجلى النزعة المثالية فيما وضع من أحكام للفرد والمجتمع والحكومة .

( ١ ) فاما بالنسبة للفرد فتتجلى النزعة المثالية فى أن الله تعالى جعل المؤمنين درجات بحسب أعمالهم وحثهم على التنافس فى بلوغ الدرجات العلى يقول الحق سبحانه وتعالى :

هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ( آل عمران ١٦٣ ) .

ويقول سبحانه وتعالى :

أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ( الأنفال ٤ ) .

ويقول عز من قائل :

ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى ( طه ٧٥ ) .

ويقول السميع العليم :

« يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم وإذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ( المجادلة ١١ ) .

وفى الحث على التنافس بين المسلمين يقول الحق سبحانه وتعالى :

« ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » ( المطففين ٢٦ ) .

كما جاءت أحكام الإسلام بالعزيمة والرخصة ليسعى كل مسلم إلى بلوغ الغاية المثلى قدر وسعه وطاقته . فإن لم يستطع فالدين يسر لا عسر والرخص منها توسعة على من يصعب عليهم الأخذ بالعزيمة حين يكون فى ذلك الخيار .

٢ ) أ — وأما النزعة المثالية فى المجتمع فتظهر فى نوع القيم التى يقرها الإسلام فهو لا يقر أن تكون الغلبة للقيم المادية كالثراء والقوة ولا يعترف بالقيم المعنوية — وحدها ويحبذ منها ما يدل على سمو النفس وقوة الخلق فنى الحق سبحانه وتعالى « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » خطاب للمجتمع الإسلامى كله بأن أكرم المسلمين عند الله وأعلاهم منزلة هو أكثرهم تقوى وأشدهم خشية لله تعالى « ثم يوصى الله تعالى بأن يسود المجتمع قيم الحق والصبر فيقول سبحانه وتعالى « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » بل ويأمر الله عباده بهذه القيم المثالية فيقول تعالى :

« ان الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى ( النحل : ٩ ) .

ب ) والرسول عليه الصلاة والسلام يضع أسس المجتمع المثالى الذى تكون فيه الولاية للأفضل والاحسن فيقول :

« ليلنى منكم أولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وهم أهل الحلم والعدل والفضل » .

٣ ) وهذه القيم العظيمة والمثل الرفيعة التى وضعها الإسلام لم يجعل الحفاظ عليها والعمل بها مسئولية الحكومة وولى الامر فحسب بل المجتمع المسلم يتحمل نفس المسئولية كذلك فأفراد المجتمع مسئولون عن صيانة القيم الإسلامية والدفاع عنها ووسائلهم فى ذلك ثلاث :

أ ) العمل بتلك القيم ومنع ما يخالفها « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

ب ) الامر بها وذلك بطريق الامر بالمعروف والنهى عن المنكر .

جـ ) الدعوة اليها والتوجيه بها « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

وإذا قصر بعض أفراد المجتمع فى القيام بواجباتهم فى سبيل نشر هذه القيم والمحافظة عليها وقع الاثم على المجتمع كله وكل بحسب مسئوليته فيه يقول الرسول عليه الصلاة والسلام لعن الله قوما ضاع الحق بينهم ويقول عليه السلام : لتأمرن بالمعروف .

٤ ) وأخيرا فإنه بالنسبة للحكومة الإسلامية نجد أن الإسلام يضع لها من الأوصاف والضوابط ما يجعلها حكومة مثالية ويتمثل ذلك فى ثلاثة أمور :

**الاول :** فى العلاقة بين الحكومة وبين الامة ، فقد ربط الإسلام بينهما رباط

متين هو رباط الشورى ( وأمرهم شورى بينهم ) وهى واجبة على ولى الأمر وحق لمن يملك النصح ويحسن الرأى ،

**الثانى** : وهو اختيار الاصلح لتولى المناصب العامة وقد منع الرسول ﷺ أبا ذر الغفارى — وهو صحابى جليل — من تقلد منصب الإمارة وقال له :

أنك ضعيف وأنها لامانة وانها يوم القيامة خزى وندامة ».

وقال عليه الصلاة والسلام وهو يضع الاساس الصالح لاختيار الاكفاء للمناصب العامة : من ولى من أمر المسلمين شيئا فأمر عليه أحدا محاباه فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم ذلك أنه ليس هناك ظلم أسوأ من تولية من لا يصلح وترك من يصلح للهوى فى النفس أو لتحقيق منفعة أو مصلحة شخصيه ».

**الثالث** : والأمر الثالث الذى يظهر مثالية الحكومة فى الإسلام هو الغاية من الحكم / فالحكم فى الإسلام ليس غايه ولكنه وسيلة لتحقيق غاية مثلى وهى العدل والعدل كمعنى جامع يعنى العدل فى العلاقة بين الراعى والرعية والعدل بين أفراد الرعية ثم العدل فى العلاقات الدولية مع الدول الاخرى . يقول الله تعالى : ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ( النساء : ٥٨ ) ».

**تاسعا : الثقة بها :**

أعظم ما يحفز المسلمين على الثقة بثقافتهم اطمئنانهم أنها سماويه المنشأ آلهيه المنبع ، فذلك أدعى إلى الإطمئنان إليها ، ثم أن الثقه تأتى كذلك من تأكد كل فرد مسلم من أن المحافظه على تلك الثقافه تؤدى إلى الخير وتهدى إلى

البر وفيها قربه إلى الله تعالى واقتداء بسنه رسوله عليه السلام وثم أن تلك الثقافه هى شخصيتنا وذاتيتنا ، ان حفظناها حافظنا عليهما وان ضيعناها ضيعناهما وأول ما يسعى الاعداء إلى تحقيقه للنيل من الإسلام والمسلمين هو اضعاف ثقتهم بثقافتهم الإسلاميه وصرفهم عن الاحتفاء بها وإحلالها منزلتها ويستخدمون فى سبيل تحقيق ذلك الهدف وسائل خبيثه من بينها :

١ — تشكيك المسلمين فى أمورهم ودفعهم إلى الجدل والنقاش ويتولى ذلك لها فى المستشرقون ع

٢ — إغراق المجتمع الإسلامى بسيل من الثقافات الاجنبيه فى الآداب والفنون كالقصه والفلسفه واللهو وذلك بغيه رد المسلمين عن ثقافتهم وابعادهم عنها بل وتنفيرهم منها .

٣ — تشجيع ضعاف النفوس من المسلمين ليكونوا أعـداء لثقافتهم مناصرين — للثقافة الأجنبية وإغراؤهم بالمنافع المادية والشهرة الزائفـة والتشجيع والترويج لارائهم وأفكارهم الكليلة السقيمة ليكونوا السنة سوء على ثقافتهم ودعاة لعدم الثقة بها .

ومما يؤسف له أن الغرب قد نجح فى هذا المضمار وتمكن من إقامة ركائز له فى المجتمع الإسلامى من بعض رجال الحكم ورجال السياسه وبعض أساتذة الجامعات وأرباب القلم ، وذلك خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وكان أولئك المارقين دعاة هزيمه وأبواق سوء ومنكر أساءت إلى الثقافه الإسلاميه .

٤ — محاولة نشر الإتجاه العلمانى ، الذى يفصل الدين عن الدولة ويقيم الحكم على أسس وضعيه وفلسفات وشرائع بشرية ؛ مما يضعف من استمساك

المسلمين بدينهم ويوهن عقيدتهم ويكون له أثر قوى فى إضعاف ثقتهم بثقافتهم ومن أسف فإن قله معدودة من دول العالم الإسلامى هى التى استطاعت أن تنجوا من هذا الكيد للإسلام والمسلمين وللثقافه الإسلاميه ونرجـــو الله أن يكشف الغشاوة عن العيون ويرفع الاقفال عن القلوب حتى تفىء إلى الله وتعرف الحق فتتبعه وتنأى عن الباطل فتجتنبه .

**عاشرا : قوتهـا :**

وأخيراً فإن من أبرز خصائص الثقافه الإسلاميه ما تتمتع به من قوة ذاتيه وقدرة على الثبات ومواجهه الخطوب وفتن الأعداء ، ومبعث تلك القـوة هو الرباط المتين الذى يربط تلك الثقافه وبين دين الإسلام وقـد خضعت أغلب الشعوب الإسلاميه للإستعمار الهولندى والإنجليزى والفرنسى والإيطالى وجاهدت كل تلك القوى الإستعمارية جهاداً مريراً فى سبيل محو الثقافه الإسلاميـه وطمس معالمها ولازال التاريخ يحفظ ما فعلته فى سبيل ذلك دول فرنسا فى الجـزائر وإيطاليا فى ليبيا وهولانده فى أندونسيا وماكان فى سائر الأقطار الإسلاميه إلا أن ذلك لم يحقق لأى منها ما أملت ولم يحقق لها ما كانت ترجـو ، إذ ظلت الشعوب الإسلاميه متمسكة بثقافتها محافظه عليها تعرض عليها بالنواجـذ ولم ينجح الترهيب ولا الترغيب فى إزالتها .

# الفصل الثالث

## مبادىء الإسلام واتجاهاته

**تمهيد وتقسيم :**

يقسم العلماء الدين الإسلامى إلى ثلاثة أقسام هى :ـ

١ ــ علوم العقيدة .

٢ ــ علوم الفقه ( العبادات والمعاملات ) .

٣ ــ علوم الأخلاق والآداب .

وعلوم العقيدة تنقسم إلى أربعة أقسام رئيسية هى :

١ ــ **الالوهية** : أى ما يتعلق بالاله سبحانه وتعالى من حيث صفاته وأسمائه وأفعاله ويلحق بها ما يستلزمه الإعتقاد من العبد لمولاه .

٢ ــ **النبوة** : وتتناول ما يتعلق بالانبياء عليهم الصلاة والسلام من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم والحاجة إلى رسالتهم ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالمعجزات والكتب السماوية .

٣ ــ **الروحانيات** : وتتناول ما يتعلق بالعالم غير المادى كالملائكة عليهم الصلاة والسلام والجن والروح .

٤ ــ **السمعيات** : وتشمل ما يتعلق بالحياة البرزخية (١) والحياة الاخرى

---

(١) الحياة البرزخية هى الحياة بعد الموت وحتى يوم الحساب أى حياة الموتى فى القبور قبل البعث .

وما يتصل بذلك من أحوال القبر وعلامات الساعة والبعث والحساب والجزاء (١) وينقسم الكلام فى هذا الفصل عن مبادىء الإسلام واتجاهاته إلى أربعة مباحث تتناول موضوعاته بالترتيب التالى : —

**المبحث الاول :** عن الله والوجود

**المبحث الثانى :** عن الإيمان وأركانه

**المبحث الثالث :** عن النبوة والوحى

**المبحث الرابع :** فى النظرية العامة للاسلام

# المبحث الاول

## الله والوجود

لفظ الجلالة : الله ، كم من لسان ينطق به دون خشوع أو إدراك جلال ما يدل عليه وكم من مخلوق يسمع هذا اللفظ فيرتعد وتخشع نفسه ، وكم من الملائكة ، جنود الله يسبحون ويقدسون ذات الله وهم لا يفترون .

إن خير ما يكتبه قلم عن ذات الله ، هو الحمد والتسبيح والتنزيه والتكبير ، أما الكلام فى ذات الله فهو ضرب من القصور بل هو المحال .

فأنى لمخلوق أن يدرك الخالق ، وكيف لعاجز أن يدرك من هو على كل شىء قدير ، سبحانه وتعالى هو القائل : وما قدروا الله حق قدره (٢) . . .

(١) الإيمان بالملائكة تأليف أحمد عز الدين البيانونى صفحة ٥ مكتبة الهدى طبعة ١٣٩٤ هـ .

(٢) سورة الأنعام آية : ٩١ .

ويقول تعالى : ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز (١) ويقول جل وعلا : وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة (٢) اللهم فاغفر وارحم وأنت خير الراحمين .

ان عقيدة الإنسان فى الألوهية هى عقيدة تنبع من فطرته ، فالإنسان مفطور على البحث عن الله والاتجاه نحوه والخضوع له ، وهو قد فعل هذا طوال عصور البشرية حتى فى تلك الحقب التى لم تصله فيها رسالات السماء ولم يكن له لقاء مع الأنبياء والمرسلين ، ولكن ويح هذا الإنسان ، يبحث عن آلهه ويجد فى ذلك ولكنه يضل السبيل فإذا جاءه رسول من عند الله كذب به واستمر فى ضلاله القديم ... ويحه مرتين : لأنه لم يقتصر على جهله بخالقه ، بل وافترى على الله وكذب عليه بعد إذ عرفه وهذا شأنه كما يقول فيه رب العالمين : ان الإنسان لظلوم كفار (٣) . وأيضا : قتل الإنسان ما أكفره (٤) .

ومنذ أقدم العصور والإنسان يعيش فى ضلاله ظلماء لا يهتدى فيها إلى الله تعالى ، اللهم إلا حين يبعث الله رسولا فيهدى الناس إلى خالقهم ويبلغهم شرعته ومنهاجه ، ولكن ما تكاد تمضى السنون على الرسالة حتى يعود أغلب الناس إلى ضلالهم القديم .

ويمكننا أن نقسم الناس من حيث الإهتداء إلى الله تعالى وعبادته إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) سورة الحج آية : ٧٤ .
(٢) سورة الزمر آية : ٦٧ .
(٣) سورة إبراهيم آية : ٣٤
(٤) سورة عبس آية : ١٧ .

**القسم الاول :** وهم المهتدون إلى الله تعالى المؤمنون به والذين يعبدونه وحده لا يشركون به شيئا .

**والقسم الثانى :** يعتقد بوجود الله ولكنه لا يهتدى إليه ويعبد من دونه ملائكة أو بشرا أو كواكب أو أصناما وأوثانا وأولئك هم المشركون .

**والقسم الثالث :** من الناس لا يعتقد بوجود الله أصلا وأولئك هم المنكرون الكافرون الجاحدون .

وسنشير فيما يلى إلى كل قسم من هذه الاقسام .

## اولا : المهتدون الى الله

المهتدون إلى الله تعالى هم من بلغتهم دعوة الله على لسان رسله فآمنوا به وصدقوا المرسلين وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان ان آمنوا بربكم فآمنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد (١) .

والإيمان بالله تعالى يقتضى الإيمان بثلاثة أمور :

الأول : ان الله واحد لا شريك له ولا نظير ولا شبيه له .

الثانى : ان أسماء الله كثيرة والمسمى واحد . روى الترمذى : ان لله تسعة وتسعين أسما — مائة إلا واحد — ان الله وتر يحب الوتر ، من أحصاها دخل الجنة ويقول الله تعالى : ( الله لا اله إلا هو له الأسماء الحسنى (٢)

---

(١) آل عمران آية : ١٩٤
(٢) سورة طه آية : ٨

وأسماء الله تعالى توقيفية (١) وهذا هو مذهب الجمهور وخالف فى ذلك المعتزلة والكرامية ، أما الشيخ الغزالى فيرى أن الأسماء موقوفة على الاذن بها أما الصفات فهى غير موقوفة على الاذن بها (٢) .

الثالث : أن الله تعالى يتصف بصفاته التى وصف بها ذاته مثل : الوحدانية والسمع والبصر والرحمة والخلق والقدرة .

ونجد فى آيات الذكر الحكيم بيان لصفات الله تعالى مثل قوله تعالى :

١ — « هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون . هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (٣) .

٢ — « قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » .

٣ — سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم . له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير . هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم (٤) .

٤ — يسبح لله ما فى السموات وما فى الارض الملك القدوس العزيز الحكيم

---

(١) توقيفية أى موقوفة على الاذن بها من الله تعالى .

(٢) كتاب أسماء الله الحسنى لفخر الدين الرازى صفحة ٣٦ ( منشورات مكتبة الكليات الأزهرية ) .

(٣) سورة الحشر : ٢٢ - ٢٤ .

(٤) سورة الحديد : ١ - ٣ .

# القســـم الثانى

## المشركون

الشرك ظلم عظيم وقع فيه كثير من الناس منذ عهود البشرية الأولى ، وقد ضلوا سواء السبيل فتصوروا أن الله شيء مما تقع عليه أبصارهم أو تلمسه أيديهم ، فظهر منذ الزمن القديم من عبد الشمس والقمر والنجوم . وعبدوا بعض الحيوان وبعض الطيور وعبدوا ما صنعوه من أوثان وأصنام . ظنوا أنها تقربهم إلى الله، يقول تعالى : إلا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فى ما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار (١) ومن أمثلة الشرك القديم ما كان من قوم نوح ومن قوم موسى (٢) عليهما الصلاة والسلام .

( ١ ) فعن ابن عباس أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون (٣) حكم عليهما بالإسلام ثم بعد تلك القرون الصالحة حدثت أمور اقتضت أن آل الحال بأهل ذلك الزمان إلى عبادة الأصنام وكان سبب ذلك ما رواه البخارى عن ابن عباس عند

(١) سورة الجمعة آية : ١ .

(٢) سورة الزمر آية : ٣ .

(٣) إذا اعتبر القرن ١٠٠ عام فالفترة بينهما ألف عام وإن كان القرن جيلا كما فى قوله تعالى : وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح ( الاسراء ١٧ ) وقوله تعالى ، وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورئيا ( مريم : ٧٤ ) وقوله سبحانه : وكما أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ( مريم : ٩٨ ) وقوله عليه الصلاة والسلام : « خير القرون قرنى » فعلى هذا يكون بين آدم ونوح الوف السنين راجع : قصص الأنبياء لابن كثير طبعة دار عمر بن الخطاب باسكندرية ص : ٦١ .

تفسر قوله تعالى : « وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً (١) قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم ان انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها انصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا وصارت هذه الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد ذلك . وعن عروة بن الزبير انه قال : ود ويغوث ويعوق وسواع ونسر أولاد آدم وكان ود أكبرهم وأبرهم به وذكر ابن جرير فى تفسيره : أنهم لما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم ، لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم ابليس فقال : إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقطون المطر . فعبدوهم بعدهم وكانت عاد أول من عبد الأصنام بعد الطوفان .

( ٢ ) أما بنو إسرائيل فعندما غاب عنهم موسى عليه الصلاة والسلام وكان يناجى ربه عمد رجل منهم يقال له هرون السامرى فأخذ ما كانوا قد استعاروه من حلي الذهب من مصر فصاغ منه عجلا وألقى فيه قبضة من التراب ، كان أخذها من أثر فرس جبريل عليه السلام حين رآه يوم أغرق الله تعالى فرعون على يديه فلما القاها فيه خار كما يخور العجل الحقيقى ويقال أنه استحال عجلا جسداً أي لحما ودما حيا يخور ، قاله قتاده وغيره : وقيل كان خواره من دخول الريح وخروجه منه . يقول تعالى فى قصة اتخاذهم العجل إلها هذه مايلى :

« واتخذ قوم موسى من حليهم عجلا جسدا له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ، اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط فى أيديهم ورأوا

---

(١) سورة نوح آية : ٢٣ .

أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين (١) .

ويقول سبحانه وتعالى فى سورة طه :

« وما أعجلك عن قومك ياموسى قال هم أولاء على اثرى وعجلت إليك رب لترضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامرى فرجع موسى إلى قومه غضبان آسفا قال ياقوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسنا أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يحل عليكم غضب من ربكم فاخلفتم موعدى . قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا ولكنا حملنا أوزاراً من زينة القوم فقذفناها فكذلك التى السامرى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فنسى . أفلا يرون الا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ولقد قال لهم هرون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وأن ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى » (٢) .

**سبب الشرك :**

وحين نبحث عن سبب اتجاه بعض النفوس إلى الشرك بالله نجد أنه قد يكون النظرة المادية للحياة والأشياء ، فالمشرك بعيد عن تصور القيم المعنوية ، غريب عن الروحانية ، حتى التفكير لا يؤمن إلا بما تلمسه يداه ، ثم هو يرضى بالعاجل ويطمئن إليه ويهرب من الآجل ولا يطيق إنتظاره ، إن المشركين كالأنعام بل هم أضل عن سواء السبيل ، وكفى بالشرك ظلما عظيما أن الله لا يغفر لأصحابه يقول تعالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما (٣) » .

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٨ و ١٤٩ .
(٢) سورة طه آيات : ٨٣ – ٩٠ .
(٣) سورة النساء . آية : ٤٨ .

# القسم الثالث

## الكافرون

الكفر ضد الإيمان ، والكافر هو من كفر بالله أى أنكر وجوده وجحده وجمع الكافر كفار وكفرة وكفار ( بالكسر ) وجمع الكافرة كوافر قال تعالى : ولا تمسكوا بعصم الكوافر (١) والكفر أيضا جحود النعمة وهو ضد الشكر ، والكفر بالفتح التغطية والستر (٢) والكفر كالشرك ظلم عظيم وهو أعم منه لأنه يشمله ورغم تعدد الرسالات السماوية وتقدم العلم الإنسانى وظهور آيات الله فى الآفاق فلا زال الكفر يطمس قلوب كثير من الناس ويعزو البعض انتشار الكفر والإلحاد فى الغرب إلى إنحراف الكنيسة ورجال الدين هناك ، مما حمل الكثيرين من النصارى على الخروج عليهم وعن الدين جميعا ومن الغرب انتقلت عدوى الإلحاد والكفر إلى الشرق فى القرنين التاسع عشر والعشرين (٣) .

**أنواع الكفر :**

وينقسم الكفر إلى أربعة أنواع هى : الإنكار والجحود والنفاق والعناد .

١ — **كفر الانكار :** وهو أن لا يعرف الإنسان الله تعالى بقلبه ولا يقر بربوبيته وألوهيته بلسانه .

٢ — **كفر الجحود :** هو أن يعرف الإنسان الله تعالى بقلبه ولكن لا يقر بذلك بلسانه وذلك مثل كفر أبليس لعنه الله و مثل كفر اليهود رسالة محمد ﷺ

---

(١) سورة الممتحنة . آية : ١٠ .

(٢) مختار الصحاح ص ٥٧٣ .

(٣) الدكتور يوسف القرضاوى وجود الله .

٣ — **كفر النفاق** : ويعني إقرار اللسان فحسب مع عدم الإعتقاد بالقلب ومن أمثلته ما كان عليه عبد الله بن أبي بن سلول .

٤ — **كفر العناد** : وهو أن يعرف المرء الله بقلبه ويعترف بذلك بلسانه ولكنه لا يدين به ولا ينقاد إليه ، ومن الأمثلة على ذلك كفر أبي طالب عم النبي ﷺ وهو الذي قال :

ولقد علمت بأن دين محمد — من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة — لوجدتني سمحا بذاك مبينا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي — ولقد صدقت وكنت فيه أمينا

وجميع هذه الأنواع لا يقبل الله تعالى من أصحابها صرفا ولا عدلا وتوعدهم بعدم المغفرة لهم (١) .

## الله والوجود

الله تعالى هو خالق الوجود وخالق كل شيء فيه ، وهو وحده الخالق البارىء المصور وخلق الكون هو أكبر الآيات على وجود الله تعالى ، وذلك إستنادا إلى ما يلي : —

( ١ ) — ان الكون قد خلق بنظام محكم دقيق يدل على عظيم التدبير وعظيم القدرة ، ولا يتصور أن يقوم هذا الكون بنظامه الدقيق من غير موجد أو أن يوجد بمحض الصدفة .

( ٢ ) — ثم أن الكون لا يقف إعجاز خلقه على مجرد إيجاده ، بل الإعجاز

---

(١) — كتاب نور الابصار تأليف السبلنجي ص ١٧ طبعة مصطفى الحلبي

مستمر ببقاء هذا الكون واستمرار وجوده ، لأنه فى حركة دائمة وفى هدم وبناء ونمو وفناء ، فى كل أجزائه ومكوناته كذلك الشأن فى الكواكب والنجوم والنبات والحيوان والإنسان وكل ذلك يحدث فى دقة ونظام ودون خلل أو اضطراب ولو كان فى الكون غير الله لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ولاختل كل نظام يقول الله تعالى : لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون (١) .

( ٣ ) — ان الكون رغم سيره على سنن ثابتة وقواعد محكمة ، وقوانين مستمرة تحكم الجماد والحيوان والنبات والإنسان ، فإن الناس جميعا يلمسون أن تلك السنن والقواعد والقوانين تتخلف ولا تعمل أحيانا ، مما يقطع بأنها لا تسير وحدها وأن وراءها وفوقها مدبراً حكيما ، وخذ مثلا على ذلك الموت ، فلا يخضع لقواعد الصحة أو الضعف أو العمر فقد يموت شاب فى ريعان الشباب ويعمر معمر حتى يشارف المائة أو يجاوزها وكذلك المطر ، رغم أن له مواسمه ووقته وكميته ، إلا أنه أحيانا لا يسقط ويسود الجفاف سنة بأكملها أو عدة سنوات دون أن نملك لذلك أى تفسير إلا بالرجوع إلى إرادة الله تعالى وسبحانه هو القائل :

إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى بأى أرض تموت ان الله عليم خبير (٢) .

ومن الجدير بالذكر ان كل ما فى الكون من خلق الله تعالى تمثيل لإرادته

---

(١) سورة الانبياء : آية : ٢٢ ه
(٢) سورة لقمان : آية : ٣٤ ه

ومشيئته ولا يملك إرادة ذاتية مستقلة إلا الإنس والجن ، أما السماوات والأرض وما فيهن فكلها لا تعرف إلا إرادة واحدة هي إرادة الله تعالى، وهذا هو الذي جعل المعصية قاصرة على الجن والإنس فحسب ؛ ولذا فقد أعد الله تعالى جهنم عقابا للعاصين منهم يقول تعالى : ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (١)

## المبحث الثانى

### الايمان واركانه

**مفهوم الايمان :** الإيمان لغة : التصديق والله تعالى المؤمن لأنه آمن عباده من أن يظلمهم والأمن والأمنة ضد الخوف (٢) .

والإيمان محله القلب ، وقد تصدر عنه أعمال الجوارح وقد لا تصدر عنه ، فإن الكثير من أعمال المسلم يتم بالجوارح ، كالجهاد فى سبيل الله وآداء شعائر الحج والعمرة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ونطق الشهادتين باللسان والقاء السلام وإطعام الطعام وكل تلك الأعمال يمكن أن تتم نتيجة باعث إيمانى يغمر القلب ويملأ النفس ويمكن أن تكون مجرد عن الإيمان فلا تكون إلا أعمالا بالجوارح قد تجعل من يأتيها مسلماً ولكنه لا يكون من المؤمنين .

---

(١) سورة الأعراف : آية : ١٧٩ .

(٢) مختار الصحاح ص : ٢٦ .

ذلك لأن الإيمان كما ذكرنا يملأ النفس والوجدان ويغمر القلب ومتى تحقق الإيمان بهذه الصورة ظهرت ثماره أعمالا خاصة لا يبتغى بها المؤمن غير وجه الله ولا يأتيها إلا إبتغاء مرضاته سبحانه وتعالى . والإيمان يعنى الإعتقاد الجازم بكل ما أنزل الله وبما جاء به الرسول ﷺ اعتقادا لا يشوبه ارتياب يقول تعالى: إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون (١) ».

فالإيمان إذن ليس بمجرد إعلان المرء بلسانه إنه مؤمن ، فما أكثر المنافقين الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم : « ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ، يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون (٢) كما انه ليس بمجرد قيام الإنسان بشعائر وأعمال مما يقوم به المؤمنون ، فقد يكون مقصده الفخر والظهور واللهث وراء ثناء الناس بينما القلب خال من نية الخير والصلاح والإخلاص لله تعالى : « تدبر قوله سبحانه وتعالى: ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (٣) وفى السنة النبوية : أخرج الحاكم والترمذى عن أبى هريرة عن النبى ﷺ انه قال : إذا كان يوم القيامة ينزل الله إلى العباد أى يتجلى لهم تجليا منزها عن الحركة والإنتقال ولوازم الجهات والاجسام ليقضى بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعى به رجل جمع القرآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله للقارىء ألم أعلمك ما انزلته

---

(١) سورة الحجرات : آية ١٥ .

(٢) سورة البقرة : آيتان ٨ و ٩ .

(٣) سورة النساء : آية : ١٤٢ .

على رسولى قال بلى يارب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار فيقول الله له : كذبت بل أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ذلك ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد قال بلى يارب قال فما عملت فيما آتيتك قال كنت أصل الرحم وأتصدق فيقول الله له : بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول الله له فى ماذا قتلت فيقول أمرت بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله له كذبت بل أردت أن يقال فلان جرىء فقد قيل ذلك قال رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة وقال رسول الله ﷺ فيما أخرجه أبو داود وابن ماجه وحبان والحاكم وصححه شرط الشيخين : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة » واخرج البيهقى عن النبى ﷺ من تعلم العلم ليجارى به العلماء أو ليمارى به السفهاء أو ليصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار .

فالإيمان جوهره الإخلاص وبدونه تغدوا كل الأعمال ناقصة أو باطلة والمعرفة الذهنية بحقائق الإيمان ودقائق الشريعة لا تدل عليه ، حكى عن قوم عرفوا حقائق الإيمان ولم يؤمنوا قال تعالى : وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين (١) وكثيراً ما حال الكبر أو الحسد أو حب الدنيا أو حب الشهوات واتباع الهوى بين قوم وبين الإيمان بما علموه من بعد ما تبين لهم الحق ، وفيهم يقول الله تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما

---

(١) سورة النمل : آية : ١٤ .

يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون (١) .

**أركان الايمان :**

هذا وللإيمان أركان لا يقوم إلا بها وله شعب عديدة تتفرع عنه وقد بين رسول الله ﷺ هذه الأركان وأشار إلى تلك الشعب .

أ ) — فمن أركان الإيمان : جاء بحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فيما رواه مسلم من حديث جبريل عليه السلام أن رسول الله ﷺ لما سئل عن معنى الإيمان قال : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن خيره وشره فأركان الإيمان كما جاءت بهذا الحديث ستة هى : —

١ — الإيمان بالله تعالى .
٢ — الإيمان بوجود الملائكة .
٣ — الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى .
٤ — الإيمان بجميع الرسل الذين أرسلهم الله هداة للبشر وأنبائهم دينا الحنيف .
٥ — الإيمان بالحياة الاخرى التى يجزى فيها الله كل إنسان بما قدم فى الدنيا .
٦ — الإيمان بما قدره الله وأصاب الإنسان من خيرا وشرا .

ب ) أما شعب الإيمان فهى كثيرة تربو على السبعين فقد روى الإمام مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : الإيمان بضع وسبعين شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها اماطة الأذى من الطريق والحياء شعبة من الإيمان

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٤٦ .

هذا وقد حصر الإمام البيهقى شعب الإيمان هذه فبلغ تعدادها سبعا وسبعين شعبة نذكرها فيما يلى :

١ ـ الإيمان بالله عز وجل ـ الإيمان برسل الله تعالى .

٣ ـ الإيمان بالملائكة .

٤ ـ الإيمان بالقرآن وجميع الكتب المنزلة .

٥ ـ الإيمان بأن القدر خيره وشره من الله تعالى .

٦ ـ الإيمان باليوم الآخر .

٧ ـ الإيمان بالبعث بعد الموت .

٨ ـ الإيمان بحشر الناس بعدما يبعثون من قبورهم .

٩ ـ الإيمان بأن دار المؤمنين الجنة ودار الكافرين النار .

١٠ ـ الإيمان بوجوب محبة الله عز وجل .

١١ ـ الإيمان بوجوب الخوف من الله عز وجل .

١٢ ـ الإيمان بوجوب الرجاء من الله عز وجل .

١٣ ـ الإيمان بوجوب التوكل على الله عز وجل .

١٤ ـ الإيمان بوجوب محبة النبى ﷺ .

١٥ ـ الإيمان بوجوب تعظيم النبى ﷺ .

١٦ ـ شح المرء بدينه حتى يكون القذف فى النار أحب إليه من الكفر .

١٧ ـ طلب العلم وفضل العلم والعلماء .

١٨ ـ نشر العلم النافع .

١٩ ـ تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه وحفظ حدوده وعلم حلاله وحرامه وتبجيل أهله .

٢٠ — الطهارات .   ٢١ — الصلوات الخمس .   ٢٢ — الزكاة .

٢٣ — الصيام .   ٢٤ — الاعتكاف .   ٢٥ — الحج .

٢٦ — الجهاد .   ٢٧ — المرابطة فى سبيل الله تعالى .

٢٨ — الثبات للعدو وترك الفرار من الزحف .

٢٩ — أداء الخمس من المغنم إلى الإمام أو عامله .

٣٠ — الإيمان بوجوب التقرب إلى الله .

٣١ — الكفارات الواجبات .

٣٢ — الوفاء بالعقود .

٣٣ — تعدد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها

٣٤ — حفظ اللسان عما لا يحتاج اليه .

٣٥ — حفظ الأمانات وما يجب فيها من أدائها .

٣٦ — تحريم قتل النفوس والجنايات عليها .

٣٧ — تحريم الفروج وما فيها من التعفف .

٣٨ — قبض اليد عن الأموال وتحريم السرقة .

٣٩ — وجوب التورع فى المطاعم والمشروبات .

٤٠ — تحريم الملابس والأزياء المخالفة .

٤١ — تحريم الملاعب والملاهى المخالفة للشريعة .

٤٢ — الإقتصاد فى النفقة وتحريم أكل المال بالباطل .

٤٣ — ترك الغل والحسد .

٤٤ — تحريم الوقوع فى أعراض الناس .

٤٥ — إخلاص العمل لله وترك الرياء .

٤٦ — السرور بالحسنة والإغتمام بالسيئة .

٤٧ - معالجة كل ذنب بالتوبة.

٤٨ - تقديم القرابين إبتغاء وجه الله تعالى.

٤٩ - طاعة أولى الأمر فى المعروف.

٥٠ - التمسك بما عليه الجماعة.

٥١ - الحكم بين الناس بالعدل.

٥٢ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٥٣ - التعاون على البر والتقوى.

٥٤ - الحيـــاء.

٥٥ - بر الوالدين.

٥٦ - صلة الرحم.

٥٧ - حسن الخلق.

٥٨ - الإحسان إلى المماليك (الخدم والأجراء).

٥٩ - حق السادة على المماليك (أى معرفة الخدم حقوق سادتهم عليهم).

٦٠ - حقوق الأولاد والأهل.

٦١ - مقاربة أهل الدين. ومودتهم وافشاء السلام بينهم.

٦٢ - رد السلام.

٦٣ - عيادة المريض.

٦٤ - الصلاة على من مات من أهل القبلة.

٦٥ - تشميت العاطس.

٦٦ - مباعدة الكفار والمفسدين.

٦٧ - اكرام الجار.

٦٩ - الستر على أصحاب الذنوب .

٧٠ - الصبر على المصائب وعما تنزع النفس إليه من لذة وشهوة .

٧١ - الزهد فى متاع الدنيا وزخارفها .

٧٢ - الغيرة على الأهل .

٧٣ - الإعراض عن اللغو .

٧٤ - الجود والسخاء .

٧٥ - الرحمة بالصغير وتوقير الكبير .

٧٦ - إصلاح ذات البين .

٧٧ - أن يحب الرجل لأخيه ما يحبه لنفسه والنصح لكل مسلم .

تلك هى شعب الإيمان كما بينها البي[illegible]ن الذى يحتاج إلى تفصيل أكثر هو أركان الإيمان الستة ونتناولها فيما يلى فى ستة مطالب .

## المطلب الاول

### الايمان بالله تعالى

الإيمان بالله عز وجل معناه الإعتقاد الجازم بأن الله رب كل شىء ومليكه وخالقه وانه الذى يستحق وحده أن يفرد بالعبادة وانه المتصف بصفات الكمال كلها المنزه عن كل نقص .

فالإيمان بالله تعالى يتضمن توحيده فى ثلاثة :

فى ربوبيته ـ وفى الوهيته ـ وفى أسمائه وصفاته .

فهذه ثلاثة أنواع من التوحيد تدخل فى معنى الإيمان بالله عز وجل .

**فالنوع الاول : هو توحيد الربوبية** : ومعناها الإجمالى الإعتقاد الجازم بأن الله رب كل شىء ولا رب غيره والإقرار بأن الله عز وجل هو الفاعل المطلق فى الكون : بالخلق والتدبير والتغيير والتسيير والاحياء والإماتة لا يشاركه أحد فى فعله سبحانه ، وفى القرآن الكريم ذكر هذا النوع من التوحيد فى أكثر من موضع ، فمنه قوله تعالى :

« الحمد لله رب العالمين » وقوله سبحانه : فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين(١) .

**والنوع الثانى وهو توحيد الالوهيه** : ومعناه الإعتقاد الجازم بأن الله سبحانه وتعالى هو الإله الحق ولا إله غيره وافراده سبحانه بالعبادة والإخلاص فيها له وحده وهذا النوع من التوحيد يتضمن فى حقيقته جميع أنواع التوحيد الأخرى فيتضمن توحيد الله فى ربوبيته وتوحيده فى أسمائه وصفاته ، ومن أجل هذا النوع من التوحيد خلق الله تعالى الخليقة يقول تعالى: وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٢) . ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : وهذا التوحيد هو الفارق بين الموحدين والمشركين وعليه يقع الجزاء والثواب فى الاول والآخر فمن لم يأت به كان من المشركين . ويستلزم توحيد الله فى الوهيته مايلى:

أ — وجوب اخلاص المحبة لله عز وجل فلا يتخذ العبد نداً لله فى الحب ،

---

(١) سورة الجاثية : آية : ٣٦ .

(٢) سورة الذاريات : ٥٦ - ٥٨ .

يحبه كما يحب الله ، أو يقدمه فى المحبة على حب الله عز وجل ، فمن فعل ذلك كان من المشركين . قال عز وجل ( ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله (١) ،

ب — وجوب افراد الله تعالى فى الدعاء والتوكل والرجاء — قال تعالى :

ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذا من الظالمين .

جـ — وجوب افراد الله عز وجل بالخوف منه وعدم خشية غيره يقول تعالى :ـ

إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (٢) .

د ـ وجوب افراد الله سبحانه وتعالى بجميع أنواع العبادات البدنية من صوم وصلاة وذبح وطواف وبجميع أنواع العبادات القولية من نذر واستغفار وغير ذلك .

**النوع الثالث : توحيد الاسماء والصفات :**

ومعناها الإعتقاد الجازم بأن الله عز وجل متصف بجميع صفات الكمال ومنزه عن جميع صفات النقص ، وانه منفرد بهذا عن جميع الكائنات ويقوم هذا النوع من التوحيد على ثلاثة أسس من حاد عنها لم يكن موحداً ربه فى أسمائه وصفاته ،

---

(١) سورة البقرة : ١٦٥ .

(٢) سورة التوبة : ١٨ .

**الاول** : تنزيه الله جل وعلا عن مشابهة الخلق وعن أى نقص .

**الثانى** : الإيمان بالأسماء والصفات الواردة فى الكتاب والسنة دون تجاوزها بزيادة أو نقص أو تحريف .

**الثالث** : قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات .

وتوحيد الأسماء والصفات إذن يقدح فيه أربعة أمور يجب أن لا يقع فيها المسلم وهى :

أ ـ التشبيه : أى تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوق كما فعل المشركون والضالون .

ب ـ التحريف : أى التغيير والتبديل فى الأسماء والصفات .

جـ ـ التعطيل : وهو نفى الصفات الإلهية وإنكار قيامها بذات الله تعالى ومنه تعطيل معاملة الله تعالى بترك عبادته .

د ـ التكييف : وهو تعيين كيفية الصفات وإثبات كنهها وهو ما يعجز عنه كل مخلوق .

**أنواع الصفات :**

والصفات التى وردت فى الكتاب والسنة نوعان : صفات ذاتية وصفات فعل فالأولى هى مالا تنفك عن ذات الله سبحانه وتعالى كالنفس والعلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والملك والعظمة والكبرياء والعلو والغنى والرحمة والحكمة وأما صفات الفعل فيقصد بها ما تعلق بمشيئة الله وقدرته كالاستواء والنزول والمجىء والرضى والحب والكره والسخط والفرح والغضب والمكر والكيد والمقت .

والواجب فى هذه الصفات بنوعيها اثباتها لله عز وجل على حسب المعنى الذى يليق بكمال الله تعالى . والإسم الجامع لمعانى اسماء كلها والصفات كلها هو « الله » وسميت أسماء الله الحسنى لأنها تدل على أحسن مسمى وأشرف مدلول .(١)

## المطلب الثانى

### الايمان بالملائكة

الملائكة هم خلق من خلق الله تعالى ، وهم عباد الرحمن وجنوده لا يعصونه ويفعلون ما يؤمرون ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة وهم أرواح قائمة فى أجسام لطيفة نورانية قادرة على التمثل بأمثلة مختلفة وليسو سواء فى شكلهم وخلقهم فمنهم ذو الجناحين و الثلاث والأربع إلى ما شاء الله من الزيادة والإيمان بوجود الملائكة بأوصافهم التى جاءت بالقرآن الكريم والسنة الشريفة جزء من العقيدة . قال تعالى : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير (٢) وفى حديث جبريل الذى سأل فيه الرسول ﷺ عن الإيمان : قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .

**ما يوجبه الايمان بالملائكة :**

يوجب الإيمان بالملائكة صحة الإعتقاد فيما يلى بالنسبة لهم :-

---

( ١ ) الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين صفحة ٦ .

( ٢ ) سورة البقرة : آية : ٢٨٥ .

**أولا : بالنسبة لخلقهم :**

ان الله تعالى هو الذى خلق الملائكة كما شاء ، وأن خلقهم قد جاء قبل خلق آدم عليه السلام . يقول تعالى : وإذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون . فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين (١) فالله تعالى قد ذكر آدم فى ملائكته قبل خلقه له وذكر تشريفه إياه بأمر الملائكة بالسجود له ، وكذلك خلق الله الجن قبل آدم يقول تعالى : ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم (٢) ويختلف الملائكة عن الإنسان والجان فيما خلقوا منه ، فالملائكة قد ورد فى الصحيح فيما رواه مسلم وأحمد عن عائشة : « خلقت الملائكة من نور وخلقت الجان من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم » .

فالله خلق الملائكة من نور والجان من مارج من نار أو من نار السموم وهى كما قال ابن عباس النار التى تقتل وهى لهب النار أما آدم فقد خلقه الله تعالى من صلصال من حمأ مسنون والصلصال هو التراب اليابس والحمأ هو الطين والمسنون هو الاملس الصقيل (٣) وليس خلق الملائكة كلهم على صورة واحدة فمنهم ذو الجناحين وذو الثلاثة أو الأربعة أجنحة ومنهم من يزيد عن ذلك يقول تعالى : الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شىء قدير (٤) وقد ورد أن جبريل

---

(١) سورة الحجر : آية : ٢٨ : ٢٩ .
(٢) سورة الحجر : آية : ٢٦ - ٢٧ .
(٣) تفسير القرآن العظيم للامام ابن كثير الدمشقى الجزء الثانى صفحة ٥٥٠ .
(٣) سورة فاطر : آية : ١ .

له ستمائة جناح وأنه ذو قوة كبيرة وآية ذلك أنه حمل قرى قوم لوط ورفعها وقلبها أي جعل عاليها سافلها (١) . ومنهم من بلغ من عظمة الخلق حداً كبيراً فعن جابر أن النبي ﷺ قال : اذن لى ان احدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ، ان ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير سبعمائة سنة يقول سبحانك حيث كنت ورغم عظم خلقهم فقد منحهم الله القدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، فضيف ابراهيم عليه الصلاة والسلام كانوا ملائكة جاءوه في صورة بشر وجبريل عليه السلام تمثل لمريم بشراً سويا قال تعالى : فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا (٢).

كما جاء جبريل إلى الرسول عليه السلام في صورة رجل رآه الصحابة ، فعن عمر بن الخطاب أنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ دخل علينا شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد وسأل رسول الله ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وعن الساعة وأماراتها إلى أن قال عمر : ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال رسول الله ﷺ : ياعمر أتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال فإنه جبريل ، اتاكم يعلمكم دينكم ، وفي حديث كيفية الوحي قال رسول الله ﷺ : وأحيانا يتمثل لى الملك فيكلمني فأعى ما أقول (٣) .

**ثانيا : صفاتهم :**

الملائكة لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة فمن قال أنهم إناث كفر ومن قاله

---

(١) مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر تأليف حسن أيوب ص : ١٢٦ .
(٢) سورة مريم : آية : ١٧ .
(٣) الإيمان بالملائكة : أحمد عز الدين البيانوني صفحة ١٢ .

أنهم ذكور فسق ، يقول تعالى : إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى (١) ويقول سبحانه : وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون(٢) ويقول عز وجل : أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون (٣) ولا يصف الملائكة بتلك الأوصاف إلا الكافرون الفاسقون وهو من الافتراء الذى مردوا عليه . كما أن الملائكة لا يتزوجون ، ولا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ،

**ثالثا — اسماؤهم واصنافهم:**

ورد بالقرآن الكريم أسماء بعض الملائكة وذلك فى قوله تعالى : قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين (٤) وفى قوله سبحانه : ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون (٥) ومن رؤساء الملائكة جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ومالك ولكل ملك عمله الذى يناط به ويكلفه به الله تعالى :

( ١ ) أما جبريل عليه السلام فهو روح القدس وهو صاحب الوحى من الله تعالى إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

---

(١) سورة النجم : آية : ٢٧ .
(٢) سورة الزخرف : آية : ١٩ .
(٣) سورة الصافات : آية : ١٥٠ .
(٤) سورة البقرة : آيتان : ٩٧ - ٩٨ .
(٥) سورة الزخرف : آية : ٧٧ .

(٢) وأما ميكائيل عليه السلام فهو الموكل بالمطر الذى به حياة الارض والنبات والإنسان والحيوان.

(٣) وأما اسرافيل عليه السلام فهو الموكل بالنفخ فى الصور فيحيي الله الموتى بعد نفخته فإذا هم قيام ينظرون.

(٤) وهناك ملك الموت الموكل بقبض الارواح. واشراف الملائكة ومقربوهم يسمون الملأ الاعلى والندى الاعلى والرفيق الأعلى قال تعالى: ما كان لى من علم فى بالملإ الاعلى إذ يختصمون (١) وقد ذكر رسول الله ﷺ الندى الاعلى، فكان إذا أخذ مضجعه من الليل دعا وقال: . . . واجعلنى فى الندى الاعلى وحين حضرته الوفاة كانت آخر كلماته اللهم الرفيق الأعلى. وفى رواية اسأل الله الرفيق الأعلى الأسعد، مع جبريل وميكائيل واسرافيل.

(٥) ومن الملائكة حملة العرش وفيهم قال الله تعالى: الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا (٢) وقال عز وجل: ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (٣).

(٦) ومنهم الحافون من حول العرش وفيهم قال تعالى: وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم (٤).

(٧) ومنهم ملائكة الجنة وهم الذين يبشرون المؤمنون بالفوز بالجنة

---

(١) سورة ص: آية: ٦٩.
(٢) سورة غافر: آية: ٧.
(٣) سورة الحاقة: آية: ١٧.
(٤) سورة الزمر: آية: ٧٥.

ويدخلون عليهم مسلمين قال تعالى : لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون (١) .

وقال عز وجل : والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار (٢) ومن ملائكة الجنة خزنتها وقد ورد ذكرهم فى قوله تعالى : وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ، حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين (٣) .

( ٨ ) ومنهم خزنة النار يقول تعالى : « وما أدراك ما سقر . لا تبقى ولا تذر . لواحة للبشر . عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتو الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر(٤) ويقول تعالى فى وصف النار والملائكة عليها : يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (٥) .

---

( ١ ) سورة الأنبياء : آية : ١٠٣ .
( ٢ ) سورة الرعد : آية : ٢٣ .
( ٣ ) سورة لزمر : آية : ٧٣ .
( ٤ ) سورة المدثر : آيات : ١٧ - ٣١ .
( ٥ ) سورة التحريم : آية : ٦ .

( ٩ ) ومنهم رسل الوحى : وهم واسطة الوحى بين الله تعالى وبين رسله وأنبيائه قال تعالى : الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس (١) ويقول عز وجل : ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا إله إلا أنا فاتقون (٢) .

(١٠) ومنهم الموكلون بالخلق : فنهم الموكلون بتطوير النطفة وتصوير ما فى الأرحام ونفخ الروح وكتابة ما يخصها من ذكورة وأنوثة والأجل والرزق والعمل ... وعن كتابة أقوال بنى آدم وأفعالهم يقول الله سبحانه وتعالى : أم يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون (٣) ويقول تعالى: ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد (٤) قال ابن عباس : يكتب كل ما تكلم به من خير أو شر وقال الأحنف بن قيس : صاحب اليمين يكتب الخير وهو أمين على صاحب الشمال ( عن اليمين وعن الشمال قعيد ) (٥) ومن الملائكة من هم موكلون بحفظ بنى آدم بأمر الله ويقول سبحانه وتعالى : سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ،له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم

---

(١) سورة الحج : آيه : ٧٥ .
(٢) سورة النحل : آية : ٢ .
(٣) سورة الزخرف : آية : ٨٠ .
(٤) سورة ق : آية : ١٦ ، ١٧ ، ١٨
(٥) سورة الرعد : آية : ١٠ ، ١١ .

سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال (١) أى أن للعبد ملائكة يتعاقبون عليه بالليل والنهار يحفظونه من الأنواء والحادثات : ملك من أمامه وملك من خلفه فهو بين أربعة املاك بالنهار وأربعة بالليل بدلاء : حافظان وكاتبان كما جاء فى الصحيح يتعاقبون فيكم وملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر . . . وعن ابن عباس ( يحفظونه من أمر الله ) قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه (٢) .

( ١١ ) ومنهم ملائكة قبض الأرواح . قال تعالى : وهو القاهر فوق عبادة ويرسل عليكم حفظة ، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون(٣) وبعد الموت هناك ملائكة السؤال فى القبر ، يقول تعالى : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء (٤) وفى الحديث الشريف : المسلم إذا سئل فى القبر شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . فذلك قول الله تعالى : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة .

( ١٢ ) ومنهم ملائكة العبادة والتسبيح وعنهم يقول الله سبحانه وتعالى :- وله من فى السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (٥) يسبحون الليل والنهار لا يفترون (٦) وقال تعالى : والصافات

---

(١) العتيد : الحاضر المهيأ . (٢) سورة الانعام : آية : ٦٠
(٣) سورة الانعام : آية : ٦١ .
(٤) سورة ابراهيم : آية : ٢٧ .
(٥) سورة الأنبياء : آية : ١٩ ، ٢٠ .
(٦) أى لا يتعبون ولا يملون .

صفا ، فالزاجرات زجرا ، فالتاليات ذكرا ، ان الحكم لواحد (١) ويقول سبحانه وتعالى على لسان الملائكة : وما منا إلا له مقام معلوم . وانا لنحن الصافون ، وانا لنحن المسبحون » (٢) ؛

(١٣) والملائكة منهم من يدعو للمؤمنين ويستغفر لهم يقول تعالى :— الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم (٣) .

ويقول سبحانه وتعالى : تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ألا إن الله هو الغفور الرحيم (٤) .

وقال سبحانه وتعالى : هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما (٥) والصلاة من الله رحمة ومن الملائكة دعاء واستغفار (٦) ٥

---

(١) سورة الصافات : آيات : ١ - ٤ .

(٢) سورة الصافات : آيات ١٦٤ - ١٦٦ ؛

(٣) سورة غافر : آية : ٧ ،

(٤) سورة الشورى : آية : ٥ ،

(٥) سورة الأحزاب : آية : ٤٣ ٥

(٦) الإيمان بالملائكة تأليف أحمد عز الدين البيانونى .

# المطلب الثالث

## الايمان بالكتب السماوية

يقول تعالى : أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم إلينا لا ترجعون (١) فالله عز وجل خالق الإنسان وأنزل له شرائعه تبين له طريق الخير وتحـذره من سبيل الشر وتهديه إلى الصراط المستقيم ، وحتى آدم عليه السلام انزل الله تعالى إليـه ما يبين له ذلك ، وفيه يقول سبحانه ، فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى، وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى (٢) فقد بين الله تعالى لآدم ما ينبغى له أن يعمل وما يجب عليه أن يترك وانه وزوجته فى الجنة حيث لا جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا حر وحـذره من ابليس عدوه وعدو زوجته الذى يسعى لاخراجها من الجنة ، وهكذا بين الله تعالى لبنى آدم ما يفعلون وما يتقون وما يحذرون ومن يحـذرون وإذا كان خطاب الله تعالى لآدم حتى لا يخرج من الجنة فإن خطابه تعـالى لبنى آدم بواسطة كتبة ورسله لكى يعود إلى الجنة منهم من هو أهل لها ممن اتبع صراط الله المستقيم .

لقد أرسل الله رسله إلى الناس ، يحمل كل منهم إلى قومه شرعه ومنهاجا يقول تعالى : وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا

---

(١) سورة المؤمنون : آية : ١١٥ .

(٢) سورة طه : آيات ١١٧ - ١٢٠ .

منكم شرعه ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (١) (والشرعة هى الشريعة والمنهاج هو الطريق الواضح فى الدين) .

ومما لا شك فيه ان رسل الله تعالى كثيرون وشرائعه متعددة يقول سبحانه وتعالى : ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (٢) وأننى سوف اذكر هنا الكتب التى وردت بالقرآن الكريم وهى الزبور والتوراة والانجيل والقرآن ونشير قبل الكلام عنها إلى صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام جاعلا كلا منها فى فرع خاص .

**الفرع الأول : صحف ابراهيم**

يقول تعالى : وإذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين (٣) قيل فى تفسير هذا ان الله تعالى كلف ابراهيم عليه السلام بأوامر ونواه - والابتلاء فى الأصل التكليف بالأمر الشاق (من البلاء) وأصبح مرادفا له الاختيار والكلمات التى ابتلى الله ابراهيم بها قد تطلق على المعانى ولذلك فسرت بالخصال الثلاثين المحمودة المذكورة فى قوله تعالى : التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين (٤) وفى قوله تعالى : ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين

---

(١) سورة المائدة : آية : ٤٨ .

(٢) سورة النساء : آية : ١٦٤ .

(٣) سورة البقرة : آية : ١٢٤ .

(٤) سورة التوبة : آية : ١١٢ .

والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما (١) وأيضاً فى قوله عز وجل : قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (٢) . وقد أفلح ابراهيم عليه الصلاة والسلام وفاز فيما ابتلاه الله به من كلمات فاتمهن أى أداهن كملا وقام بهن حق القيام لقوله تعالى : وابراهيم الذى وفى (٣) .

وعن ابن عباس قال : لما نزلت : ( سبح اسم ربك الأعلى ) قال كلها فى صحف ابراهيم وموسى ولما نزلت وابراهيم الذى وفى قال : وفى ابراهيم . ومثل هذا قال عكرمه فى قوله تعالى : ان هـذا لفى الصحف الأولى : صحف ابراهيم وموسى .

يقول الآيات التى فى سبح اسم ربك الأعلى وقال أبو العاليه قصة هذه السورة فى الصحف الأولى واختار ابن جرير ان المراد بقوله : ان هـذا لفى

(١) سورة الاحزاب : آية : ٣٥ .
(٢) سورة المؤمنون : آيات : ١ — ١١ .
(٣) النجم : ٣٧ : تفسير القرآن الكريم للبيضاوى الجزء الاول صفحه ٤٢ طبعة الجمعية العامة المحافظة على القرآن الكريم ( مكتبة ومطبعة المشهد الحسينى )

الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى : اشارة إلى قوله : قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ثم قال تعالى: (ان هذا ) أى مضمون هذا الكلام ( لفى الصحف الأولى ) صحف ابراهيم وموسى (١)»

( ١ ) ـ فصحف ابراهيم كانت تحتوى على الإسلام والتوحيد ، يقول تعالى : ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين (٢)

( ٢ ) — وقد أحيا ابراهيم مناسك بيت الله الحرام وسن مشاعره وطهره للطائفين والعاكفين والركع السجود ودعا إلى الصلاة والدعاء حوله : يقول تعالى: وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود(٣) ويقول عز وجل : ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (٤) .

( ٣ ) ـ فما ورد فى صحف إبراهيم عليه السلام كان يتعلق بعبادة الله وحده وتوحيده والإسلام له « ومن يرغب عن أمة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين وذكر الله تعالى إيثار الآخرة على الدنيا وتزكيه النفس وتطهيرها .

---

(١) ـ تفسير القرآن الكريم العظيم لابن كثير الدمشقى الجزء الرابع ص٥٠٢

(٢) سورة البقرة : آية : ١٣٠ ، ١٣١ .

(٣) سورة البقرة : آية : ١٢٥ .

(٤) سورة البقرة : آية : ١٢٨ .

ومن دلائل قوة عقيدة التوحيد عنده أنه حين ألقى فى نار نمروذ أتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له ألك حاجة ؟ فقال أما إليك فلا . وكان يمشى كل يوم فرسخا يرتاد ضيفا فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم .

( ٤ ) — ومما كتبه الله عليه واختبره وابتلاه به الطهارة : خمس فى الرأس وخمس فى الجسد ، فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وفى الجسد : تقليم الأظافر وحلق العانة والختان ونتف الابط وغسل أثر الغائط والبول بالماء ( الاستنجاء ) وعن ابن عباس : كلمات إبراهيم التى ابتلى بهن فأتمهن : عشر : ست فى الإنسان وأربع فى المشاعر فاما التى فى الإنسان فهى : حلق العانة ونتف الابط والختان وتقليم الأظافر وقص الشارب وغسل يوم الجمعة والأربعة التى فى المشاعر هى :

الطواف والسعى بين الصفا والمروه ورمى الجمار والإفاضة .

( ٥ ) — وعن ابن عباس أنه قال : ما أبتلى بهذا الدين أحد فقام به كله إبراهيم قال الله تعالى ( وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ) قلت له وما الكلمات التى ابتلى الله إبراهيم بهن فأتمهن ؟ قال : الإسلام ثلاثون سهما فيها عشر آيات فى براءة ( التائبون العابدون ... ) إلى آخر الآية وعشر آيات فى أول سوره قد أفلح المؤمنون وسأل سائل بعذاب واقع وعشر آيات فى الأحزاب ( ان المسلمين والمسلمات ... ) إلى آخر الآية .

( ٦ ) — وعن ابن عباس قال : الكلمات التى ابتلى الله بهن إبراهيم فاتمهن :

أ ) — فراق قومه فى الله حين أمر بمغادرتهم .

ب ) — ومحاجته للنمروذ فى الله حين وقفه على ما وقفه عليه من خطر الامر الذى فيه خلاف .

ج ) — وصبره على قذفه إياه فى النار ليحرقوه فى الله على هول ذلك .

## الفرع الثانى

## التوراة

التوراه هو الكتاب الذى أنزل على موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام وقد أمر الله تعالى المؤمنين بأن يؤمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل فقال سبحانه : يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل(١) ، وقال عز وجل : آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله(٢).

وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « آمنوا بالتوراة والزبور والإنجيل وليسعكم القرآن » (٣) وكانت التوراة بلغة أعجمية هى العبرانية ولكنها الآن ترجمت إلى عدة لغات من بينها العربية .

وتتألف التوراة من كتب خمسة تعرف بالعهد القديم وتنسب إلى موسى عليه الصلاة والسلام وهذه الأسفار تتناول فترة طويلة من الزمن فتبدأ مع بدء الخليقة وتنتهى باليهودية حتى وفاة موسى عليه السلام وترتيب هذه الأسفار بالشكل الذى انتهت الينا به فى الترجمة العربية هو كالآتى :—

**اولا : سفر التكوين :** ويتكون من خمسين فصلا أو اصحاحا وتحكى هذه الاصحاحات فى خطوطها الأساسية قصصا تتعلق بالخلق وبآدم وبنوح عليهما السلام ، كما يتحدث هذا السفر عن سام وحام ويافث أبناء نوح عليه السلام

---

(١) سورة النساء : آية : ١٣٦ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٢٨٥ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٨٧ .

ثم يصل مع الأنبياء إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام كذلك يتعرض بشيء من التفصيل لبعض انبياء الله تعالى مثل : اسحق ويعقوب ويوسف وقصة أبناء يعقوب فى مصر واستقرارهم فيها ثم خروجهم منها .

**ثانيا : سفر الخروج** : ويتألف هذا السفر من أربعين اصحاحا تتنـاول قصة اضطهاد فراعنة مصر لبنى اسرائيل بعد أن عظم شـأن بنى اسرائيل وأصبحوا قوة وخطراً يهدد مصر وسلامتها وأمنهـا وكان ذلك عقب موت يوسف عليه الصلاة والسلام بعده أجيال . ويتحدث هذا السفر كذلك عن الفترة التى ولد فيها موسى عليه الصلاة والسلام فى مصر فيحكى قصة مولده ونشأته وتحركاته فى منطقة الشرق الأدنى ويسهب فى الحديث عن رحلته إلى سيناء وعلى أرض مدين إلى أن يأتيه الوحى الالهى على جبل الطور .

**ثالثا . سفر اللاويين** : يتألف هذا السفر من سبعة وعشرين إصحـاحا ويسميه اليهود سفر الأحبار وذلك لكثرة الشرائع والطقوس الكهنوتية فيه فيه وقد سمى بسفر اللاويين لأن مهمة الكهانة كانت موكولة لسبط لاوى من يعقوب ويرتبط هذا السفر بما قبله وبما بعده ويسمى علماء الشريعة اليهود هذا الترابط باسم القانون الكهنوتى .

**رابعا : سفر العدد** : يتألف هذا السفر من ستة وثلاثين إصحاحا ومنشأ التسمية هو عناية هذا السفر بالاحصاء والتعداد والبيانات ففيه بيان بعدد الراحلين مع موسى عليه الصلاه والسلام إلى الصحراء والمعلومات الواردة عن عدد ذكـور بنى إسرائيل وعدد الذبائح وعدد المدن والقرى كثيره .

**خامسا : سفر التثنية** : يتألف هذا السفر الأخير من أربعـة وثلاثين إصحاحا وبه تكتمل التوراه ويذكر شراح العهد القديم من علماء اليهود أن موسى

عليه الصلاه والسلام قد كتب هذه التوراه وسلمها للكهنة من بنى لاوى ولكن ما دون فى التوراه قد تلقاه موسى عليه الصلاه والسلام شفاهة من الوحى ومع هذا فلم يثبت على حاله إذ قام يشوع بعملية تدوين ونسخ التوراه التى تركت مع اللاويين بعد موت موسى عليه الصلاة والسلام أما التوراة التى تركها موسى فى الالواح فقد انقطعت أخبارها تماما مما فتح الباب أمام تحريف التوراة .

## الفرع الثانى

## الزبور

ورد ذكر الزبور فى القرآن الكريم كتابا سماويا أوتيه داود عليه الصلاة والسلام قال سبحانه : انا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى ابراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا (١) .

ويقول تعالى : وربك أعلم بمن فى السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا (٢)

كان داود أحد أنبياء بنى إسرائيل آتاه الله النبوة والملك ، يصعد نسبه إلى اسحق ابن إبراهيم ، وكان راعى غنم ثم أصبح ملكا ( ١٠١٢ — ٩٧٢ ق م ) خلفا لشاؤول وإليه يعزى الكثير فى المزامير ، وقد جاء بالاناجيل أن المسيح عليه الصلاة والسلام انحدر من بيت داود ( صموئيل ١ : ٧ : ١ : ١٢ والملوك

---

(١) سورة النساء : آية : ١٦٣ .

(٢) سورة الاسراء : آية : ٥٥ .

٤ : ٢ — ١٢ ) وقد ورد ذكر داود عليه السلام فى القرآن الكريم فى ستة عشر موضعا بسور متعددة (١) .

إن المزامير التى بقيت إلى وقتنا الحاضر تدخل فى مكونات التوراة والعهد القديم باعتبار أن داود عليه الصلاة والسلام كان من أنبياء بنى إسرائيل وهى مجموعة من الترانيم والحكم والأمثال التى يبلغ عدد آياتها مائة وخمسين .

ويرجح البعض أن الجزء الأكبر من هذه الترانيم التى يضمها الزبور قد قام بتأليفه الحاخامات والكهنة من رجال بنى اسرائيل فى الفترة التى بدأت عقب الأسر وكان مقصدهم منها وما يهدفون إليه أن تكون هذه الآيات عزاء وصبرا وتسلية أو امتثالا وشكرا وحمدا وهذا هو السر وراء الجزء الخاص من المزامير المتعلق بالسير الشعبية وضرب الأمثال والتوبة والشكر والحمد وغيرها مثل المزمور الخامس عشر والمزمور الرابع والأربعين وهما يتفقان فى كثير من هذه المعانى النقية (٢) .

### الفرع الثالث
### الانجيل

أرسل الله عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام مصدقا لما سبقه من رسالة موسى عليه الصلاة والسلام الذى جاء بالتوراة .

---

(١) الموسوعة العربية الميسرة ، دار الشعب ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر باشراف محمد شفيق غربال صفحة ٧٧٩ » .

(٢) اليهودية بين الدين والتاريخ تأليف عبد الرحمن طعيمه : ص ٢٤٣ والتراث الاسرائيلى للدكتور صابر طعيمة ( دار الجيل - بيروت ) ١٩٧٩ صفحة ٧٦٤ .

قال تعالى : وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين (١) وقد أمر الله النصارى من اتباع عيسى عليه الصلاة والسلام ان يحكموا بالانجيل الذى جاء به اليهم وحكم الله تعالى بالكفر على من لم يحكم بما أنزل الله فيه . يقول سبحانه وتعالى :

وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون (٢) .

ولقد جاء الانجيل يخفف عن بنى إسرائيل بعض ما جاء بالتوراة وليحل لهم بعض ما حرم عليهم ، ومع ذلك فانهم لم يستقبلوا المسيحية والانجيل إلا بالنكر والاعراض بل والعداء الشديد . يقول سبحانه وتعالى : ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون (٣) وتدعوا التوراة إلى التوحيد وكذلك الانجيل . يقول سبحانه وتعالى : ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما احس عيسى منهم الكفر قال من انصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون (٤)

ورغم أن الانجيل والتوراة كلاهما قد جاء على أساس عقيدة التوحيد والدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده بذاته المقدسة المنزهة عن الشرك والشبيه

---

(١) سورة المائدة : آية : ٤٦ .

(٢) سورة المائدة : آية : ٤٧ :

(٣) سورة آل عمران : آية : ٥٠ .

(٤) سورة آل عمران : آية : ٥١ ، ٥٢ .

هو الولد فقد كفر بعض أتباع الديانتين فقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله . ولا يجد المرء مبررا لهذا إلا الانحراف والتحريف الذى أدخل على الديانتين بعد رسوليهما موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام .

والكتاب المقدس لدى النصارى يشمل التوراة والاناجيل ورسائل الرسل وتسمى التوراة بأسفارها الموسوية وغيرها : كتب العهد القديم وتسمى الاناجيل ورسائل الرسل كتب العهد الجديد والاناجيل المعتبرة لدى النصارى اليوم أربعة وهى :

١ — انجيل متى ٢ — انجيل مرقس ٣ — وانجيل لوقا
٤ — وانجيل يوحنا .

وإذا كانت شخصية المسيح عليه الصلاة والسلام وما أحاطوها به من أفكار هى شعار النصرانية ، فإن هذه الاناجيل هى المشتملة على أخبار تلك الشخصية من وقت الحمل إلى وقت صلبه فى إعتقادهم وقيامته من قبره بعد ثلاث ليال ثم رفعه بعد أربعين ليلة وهى بهذا تشتمل على عقيدة الوهية المسيح فى زعمهم والصلب والفداء ، أى أنها تشتمل على لب النصرانية فى نظرهم ومعناها ، وهذه الاناجيل الأربعة هى التى تعترف بها الكنائس وتقرها الفرق النصرانية وتأخذ بها ولكن التاريخ يروى لنا انه كانت فى العصور الغابرة اناجيل أخرى كانجيل أصحاب مرقيون وانجيل أصحاب ويصا وانجيل أصحاب فانى — وانجيل السبعين الذى ينسب إلى تلامس وانجيل التذكرة وبرنابا وغيرها .

ويذكر بعض المؤرخين انه لم توجد عبارة تشير إلى وجود اناجيل متى ومرقص ولوقا ويوحنا قبل آخر القرن الثالث ، وأول من ذكر الاناجيل الأربعة

هو ( أرنيوس ) فى عم ٢٠٩ [١] ولغة الانجيل فى عهد المسيح عليه الصلاة والسلام هى العبرانية : لغة التوراة ولكنه ترجم بعد ذلك إلى اليونانية فاللغات الاخرى ومنها العربية .

## الفرع الرابع

## القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب الله لآخر أنبيائه ورسله محمد عليه الصلاة والسلام نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام ويعرفه الاصوليون : بأنه كلام الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربى المنقول بالتواتر والمكتوب فى المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس .

هذا وللقرآن الكريم أسماء كثيرة عددها السيوطى فى اتقان القرآن وذكرها خمسة وخمسين اسما ولكن أكثر هذه الاسماء هى فى الحقيقة صفات للقرآن وليست قرضية الدلالة عليه ولكن العلماء يتفقون على أن للقرآن أربعة أسماء تعد قرضية الدلالة عليه وهى على التوالى حسب ترتيب النزول :

القرآن — الذكر — الكتاب — الفرقان .

وقد ورد لفظ القرآن فى ثالث سورة أنزلت هى سورة المزمل فى قوله سبحانه : « يا أيها المزمل — قم الليل إلا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا » . وكلمة قرآن قد تكون مصدرا للفعل قرأ لانه يتلى ويقرأ وقد تكون للفعل قرىء بمعنى جمع لانه جمع كلام الله وآياته وسوره ولكن

---

(١) محاضرات فى النصرانيه للامام محمد أبو زهره ( دار الفكر العربى ) صفحة ٤٦ .

أرجح من هذين القولين قول الإمام الشافعى فى هذا أن كلمة قرآن هى اسم علم أطلق على كتاب الله المنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام كما اطلقت التوراة والانجيل على الكتب السابقة وهذا ما يرجحه السيوطى فى اتقان القرآن .

ولفظ القرآن هو أخص الالفاظ دلالة عليه ، لان ما عداه من الاسماء قد جرى اطلاقه على الكتب السماوية السابقة له . ونجد ذلك فى قوله تعالى : « ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين (١) فسمى الله تعالى التوراة هنا فرقانا . ويقول عز وجل : وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل الا تتخذوا من دونى وكيلا (٢) »

ويقول تعالى : قال انى عبد الله اتانى الكتاب وجعلنى نبيا (٣) فهنا سمى الله تعالى الانجيل الكتاب .

**المصحف :** أما كلمة المصحف فقد اطلقت فى عهد ابى بكر الصديق عند جمع القرآن الكريم فى كتاب واحد لاول مرة بعد ان كان صحفا متفرقه وقيل ان الصحابه تداولوا فى اطلاق اسم على كتاب الله فرأى بعضهم ان يسمى سفرا ولكنهم أخذوا برأى عبد الله بن مسعود فى تسميته المصحف . والقرآن الكريم مقسم إلى ثلاثين جزءا وستين حزبا وترتيبه توقيفى أى بالوحى . والإيمان بالقرآن يعنى التصديق بأنه كله كلام الله تعالى وانه نزل به جبريل عليه السلام إلى رسول الله النبى الامى محمد عليه الصلاة والسلام وانه يهدى إلى الصراط المستقيم لمن اتبعه وعمل به وانه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والله

---

(١) سورة الانبياء : آية : ٤٨ .

(٢) سورة الاسراء : آية : ٢ .

(٣) سورة مريم : آية : ٣٠ .

تعالى حافظه وهو سبحانه يقول : انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (١) .

**خصائص القرآن الكريم :**

وللقرآن الكريم خصائصه التى تميز بها عن الكتب السماوية السابقه وأهم هذه الخصائص ما يلى : —

أولا : انه منزل باللغة العربية : وبهذه الخصوصية يتميز عن كتب الله تعالى السابقة فالتوراة والزبور كانت لغتهم العبرانية . يقول تعالى : انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون (٢) نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين (٣) .

وقد ظل القرآن وسيظل بلسانه العربى ، وما يترجم من معانيه لا يعتبر ولا يسمى قرآنا بخلاف الكتب السماوية السابقة .

ثانيا : ان معانى القرآن والفاظه كلها من عند الله وليس على الرسول إلا البلاغ أما التوراة والانجيل فقد صاغهما الحواريون والانصار بعد ذلك فاختلفت صياغتها ولم تتماثل فى كل معانيها .

ثالثا : ان القرآن الكريم قد نقل إلينا بطريق التواتر مما يستحيل معه أى تغيير فيه ، اما الكتب السماوية السابقة مثل : التوراة والزبور والانجيل فقد نقلت بطرق شتى ودخلها التحريف والتبديل والزيادة والحذف والإخفاء ، أما القرآن فلم ولن يتغير فيه حرف منذ انزل على خاتم المرسلين وإلى أن يرثه الله الأرض ومن عليها بحفظه الله تعالى وهو خير الحافظين .

---

(١) سورة الحجر : آية : ٩ .
(٢) سورة يوسف : آية : ٤ .
(٣) سورة الشعراء : آيات : ١٩٣ - ١٩٥ .

# المبحث الرابع

## الايمان بالرسل

الإيمان بالرسل والأنبياء واجب ، لانه أصل من أصول الدين وركن من أركان الدين وركن من أركان العقيدة من انكره كفر وانهار إيمانه , قال تعالى :

آمن الرسول بما انزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير(١) والإيمان بالرسل والأنبياء يقتضى الإيمان بمن ذكرهم الله تعالى وقص اخبارهم واخبر باسمائهم فى القرآن الكريم وكذلك التصديق بأن الله تعالى أرسل رسلا لم يقصصهم على نبيه عليه الصلاة والسلام كما قال بذلك سبحانه وتعالى :

ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله ، فإذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون (٢) .

**النبى والرسول :**

النبوة فضل آلهى وهبة ربانية , يهبها الله لمن يشاء من عباده ويختص لها من يريد من خلقه فلا هى تدرك بالجهد والتعب ولا تنال بكثرة الطاعة والعبادة وإنما هى محض الفضل الالهى : يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (٣) وقد جرت سنة الله تعالى فى النبوه على ما يلى :

---

(١) سورة البقرة : آية : ٢٨٥ . (٢) سورة غافر : آية : ٧٨ .
(٣) سورة آل عمران : آية : ٧٤ .

( ١ ) أن يكون النبي من الرجال ولا تكون النبوة للنساء .

( ٢ ) لا يعطى الله تعالى النبوة لكافر ولا فاسق ولا لفاسد الخلق وإنما تكون للمؤمن .

( ٣ ) لا تورث النبوة بل تظل دائما بالاصطفاء والاختيار (١) .

**الفرق بين النبي والرسول :**

والنبي يوحى اليه ولكنه لم يكلف بتبليغ دعوة إلى الناس .

أما الرسول فهو إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه للناس . قال تعالى : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين (٢) ومن ذلك نرى ان ليس كل نبي رسولا ، فمنهم من اقتصر على النبوة كآدم ويوسف ومنهم من جمع مع النبوة الرسالة كأولى العزم من الرسل وغيرهم .

**أولو العزم من الرسل :**

ليس الرسل والأنبياء سواء فى المنزلة عند الله تعالى بل فضل الله بعضهم على بعض ، يقول تعالى : تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات واتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس (٣)

---

(١) النبوة والانبياء . تأليف محمد على الصابونى صفحة : ٨ .
(٢) سورة المائدة : آية : ٦٧ .
(٣) سوره البقرة : آية : ٢٥٣ .

— وأفضلهم جميعا محمد نبي الله ورسول الإسلام عليه الصلاة والسلام.

هذا وأولوا العزم من الرسل خمسة هم.

١ ) نوح عليه الصلاة والسلام .

٢ ) ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

٣ ) موسى عليه الصلاة والسلام .

٤ ) عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام .

٥ ) محمد خاتم الأنبياء والمرسلين عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى : فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل (١) .

وقال عز وجل عنهم : وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم (٢) .

**انبياء الله ورسله فى القرآن :**

ورد فى القرآن الكريم أسماء خمسة وعشرين من الرسل والانبياء يجب علينا الإيمان بهم ومعرفتهم تفصيلا وفيما يلى أسماؤهم :

١ ) آدم ٢ ) نوح ٣ ) أدريس ٤ ) هود ٥ ) صالح ٦ ) لوط
٧ ) إبراهيم ٨ ) اسماعيل ٩ ) اسحق ١٠ ) يعقوب ١١ ) يوسف
١٢ ) شعيب ١٣ ) موسى ١٤ ) هرون ١٥ ) داود ١٦ ) سليمان

---

(١) سورة الأحقاف : آية : ٣٥ .
(٢) سوره الاحزاب : آية : ٧ .

١٧ ) أيوب ١٨ ) ذو الكفل ١٩ ) يونس ٢٠ ) الياس ٢١ ) اليسع
٢٢ ) زكريا ٢٣ ) يحيي ٢٤ ) عيسى ٢٥ ) محمد عليه وعليهم وعلى كل أنبياء الله ورسله أفضل الصلاة وأزكى السلام .

هذا وقد جاء ذكر ثمانية عشر رسولا فى أربعة من آيات القرآن الكريم والسبعة الباقون جاء ذكرهم فى آيات متفرقة والآيات الكريمة تقول : وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ، ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ويحيي وعيسى والياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين (١) . وقد جمع بيتان من الشعر أسماء الرسل السبعة الباقين وهم كما يلى :

فى تلك حجتنا منهم ثمانية من بعد عشر ويبقى سبعة وهموا :
أدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا (١)

**هل آدم رسول :**

وقد اختلف العلماء حول آدم عليه الصلاة والسلام وهل هو نبى فحسب أم رسول كذلك ؟ ومن المقطوع به ان آدم عليه الصلاة والسلام من الانبياء وهو رأى جمهور العلماء لم يخالف فيه أحد وإنما الخلاف هل هو رسول أم لا . . ولمن أرسل . . فيرى البعض من العلماء انه نبى فحسب ويرى غيرهم انه نبى

---

(١) سورة الأنعام : آيات : ٨٣ — ٨٦ .
(٢) النبوة والأنبياء . المرجع السابق : ص ١٣ .

ورسول وانه أرسل إلى ذريته (١) .

**عدم التفرقة بين الرسل :**

وربما يتساءل القارىء : كيف يكون هناك تفضيل لبعض الرسل على بعض مع أن الله تعالى يقول : آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير(٢).

والجواب على ذلك أن الرسل درجات عند ربهم ، وبعضهم فضله الله على غيره من الرسل ( تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات (٣) .. ولكنهم جميعا يتفقون فى أمور ينبغى الإيمان بها وعدم التفرقة بينهم فيها هى :

١ ) أنهم جميعا رسل الله : فكل رسول مرسل من رب العالمين وليس فيهم من جاء برسالة من عنده أو بكلام من نفسه لا يقره الله تعالى عليه .

٢ ) وكل الرسل بشر من بنى آدم ، فليس فيهم من هو من الملائكة وليس بينهم من هو ابن الله فالله تعالى لم يلد ولم يولد . وقد كفر الذين قالوا عن عزير أنه ابن الله وكذلك من قالوا عن المسيح مثل ذلك ، تشابهت قلوبهم وهم اليهود والنصارى بل كلهم بشر يأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ويمرضون ويحزنون ويفرحون .

٣ ) ثم أن للمرسلين جميعا غاية واحدة وهدف تلتقى رسالاتهم عنده وهو

---

(١) النبوة والأنبياء : تأليف محمد على الصابونى ص ١٢٥ .
(٢) سورة البقرة : آية : ٢٨٥ (١) سورة البقرة : آية : ٢٥٣ .

صراط الله المستقيم ، ويدعون الناس إليه وعدم اتباع السبل التى تفرقهم عن سبيله . ويدعون إلى التوحيد والعمل بشرع الله ومنهاجه فى عبادة الله تعالى وفى التعامل مع الناس .

# المطلب الخامس

## الايمان باليوم الآخر

اليوم الآخر هو يوم القيامه وله أسماء عديدة منهـــا البعث ويوم النشور والصاخة والواقعة والقيامة ، والساعة ويوم الدين ويوم الحساب ويوم التغابن ويوم الخروج ويوم الخلود ، والحاقة والغاشية والآزفة وقد ورد ذكر هذه الأسماء جميعا فى القرآن الكريم ، وجعل الله تعالى الإيمان باليوم الآخر من أركان الإيمان ومن لا يؤمن به أو ينكره فهو من الكافرين .

قال تعالى : ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون (١) . ويقول عز وجل : يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا (٢) وقد تكرر ذكر اليوم الآخر فى القرآن الكريم وقرنه الله تعالى بالإيمان

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٧٧ .

(٢) سورة النساء : آية : ١٣٦ .

به عز وجل بقول تعالى :

وإذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير (١) ويقول عز وجل . . . . . ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا (٢) .

**الآخرة :**

واليوم الآخر هو بداية الحياة الآخره التى نكون فيها خالدين أبدا فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير قال تعالى : والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون (٣) وقال سبحانه وتعالى : أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون (٤) ويقول عز وجل : ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين (٥) ويقول سبحانه وتعالى : ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٦) .

ويقول تعالى : من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٢٦ .
(٢) سورة الطلاق : آية : ٢ .
(٣) سورة البقرة : آية : ٤ .
(٤) سورة البقرة : آية : ٨٦ .
(٥) سورة البقرة : آية : ١٣٠ .
(٦) سورة البقرة : آية : ٢٠١ .

حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب (١) وقد جعل الله الآخرة لمن يحب من عباده ، يقول عز وجل وللآخرة خير لك من الاولى(٢) .

**مقتضى الايمان باليوم الآخر :**

يقتضى الإيمان باليوم الآخر الإعتقاد التام فى صحة ما يلى :

أولا : — ان علم الساعة عند الله وحده ، لا يعلمها أحد من خلقه لقوله تعالى : ان الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله عليم خبير (٣) ولما ورد فى حديث الإيمان من سؤال جبريل عليه السلام للرسول ﷺ عن الساعة واجابته : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .

ثانيا : — ان للساعة علامات صغرى وعلامات كبرى فمن الأولى أن يقبض العلم وتكثر الزلازل ، ويتقارب الزمان ( تقل البركة ) وتظهر الفتن ويكثر الهرج ( القتل ) وكذلك إذا ضيعت الامانة وأسند الأمر لغير أهله أما العلامات الكبرى فأهمها : طلوع الشمس من المغرب وخروج الدابة وظهور المسيح الدجال : وقد جاءت علامات الساعة هذه فى السنة الشريفة ، فعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرج ، حتى يكون فيكم المال فيفيض ( أخرجه الشيخان وابن ماجه ) .

---

(١) سورة الشورى : آية : ٢٠ .
(٢) سورة الضحى : آية ٤ .
(٣) سورة لقمان : آية : ٣٤ .

وعن أبي هريرة أن رجــلا قال لرسول الله ﷺ : متى الساعة فقال إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة : وقال : وكيف إضاعتها ؟ إذا أسند الأمر لغير أهله فانتظرا الساعة ( أخرجه البخارى ) .

وروى عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبى ﷺ قال : ان أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعين وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا » أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه ، وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : هل ينظرون الا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً ، قل انتظروا انا منتظرون (١) وبعـد أن يظهر المسيح الدجال ويعيث فى الأرض فسادا ينزل المسيح عليه السلام ويقتل الدجال ويحكم بشريعة نبينا محمد ﷺ ويمكث فى الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلى عليه المسلمون »

**ثالثا :— ومن حقائق اليوم الآخر :**

١ ) — **البعث** :— وهو إحياء الموتى : « ثم انكم بعد ذلك لميتون ثم

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١٥٨ .

انكم يوم القيامة تبعثون (١) ويقول سبحانه وتعالى : يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه ، والله على كل شئ شهيد (٢) .

٢ ) — **الحشر** : وهو سوق الناس فى مكان الحساب الذى يجتمع فيه الخلائق وفيه يحاسبون وتوزن أعمالهم ويعرف كل إنسان مصيره قال تعالى : واتقوا الله واعلموا انكم إليه تحشرون (٣) .

وقال سبحانه وتعالى : وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً (٤) .

٣ ) — **الحساب** : وهو توقيف الله سبحانه وتعالى عباده قبل الإنصراف من المحشر على أعمالهم أقوالا وأفعالا واعتقادات تفصيلا بعد أخذهم كتبهم : قال تعالى : فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسروراً وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا (٥) .

وقال تعالى : وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (٦)

( ٤ ) — **صحائف الأعمال** وهى الكتب التى كتبت فيها الملائكة ما فعله

---

(١) سورة المؤمنون : آية : ١٥ ، ١٦ .
(٢) سورة المجادلة : آية : ٦ .
(٣) سورة البقرة : آية : ٢٠٣ .
(٤) سورة الكهف : آية : ٤٧ .
(٥) سورة الإنشقاق : آيات : ٧ — ١٢ .
(٦) سورة الأنبياء : آية : ٤٧ .

العباد فى الدنيا من اعتقادات وأقوال وأفعال وهى ثابتة بالكتاب والسنة والاجماع فنكرها كافر وهذه الصحف لا يأخذها الأنبياء والملائكة ومن يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم لا يحاسبون .

٥ ) — **الميزان** : وتوزن فيه أعمال من يحاسب بقدرة الله تعالى ، وبمنتهى العدل حتى ان الوزن يكون بمثقال الذرة وحبة الخردل . يقول تعالى : ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين (١).

وقال تعالى : فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ما هيه نار حامية (٢) .

٦ ) **الصراط** : وهو جسر على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون كل بحسب عمله ، فنهم من يمر كلمح البصر ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالريح ويمر أناس هرولة ، وأناس حبوا وغيرهم زحفا وكثيرون يتساقطون فى النار وعلى جوانب الصراط كلاليب ( مثل الخطاطيف ) لا يعلم عددها إلا الله تخطف بعض الخلائق خطفاً .

قال تعالى : وان منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (٣) .

وعن ابن مسعود : الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق والثانيه كالريح والثالثة كأجود الخيل والرابعة كأجود البهائم ثم يمرون

---

(١) سورة الأنبياء : آية : ٤٧ ؛ (٢) سورة القارعة : آيات : ٦ - ١١ .
(٣) سورة مريم : آيتان : ٧١ و ٧٢ .

والملائكة يقولون : اللهم سلم سلم ( أخرجه ابن جرير ) .

وعن المغيره بن شعبه ان النبي ﷺ قال : شعار المؤمنين على الصراط يوم القيامة : رب سلم سلم ( اخرجه الحاكم والترمذى وصححاه ) .

وعن ابن مسعود رضى الله عنه فى قوله تعالى : « يسعى نورهم بين أيديهم » قال : على قدر أعمالهم يمرون على الصراط منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نوره فى إبهامه يضىء مرة ويطفأ مرة .

٧ ) **الحوض** : يجب الإيمان بأن لكل رسول حوض يرده الطائعون من أمته وان حوض النبى ﷺ أكبرها وأعظمها مربع الشكل ، له ميزانان يصبان فيه من الكوثر ، ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، كيزانه أكثر من نجوم السماء ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً يرده الاخيار وهم المؤمنون بالنبى ﷺ الآخذون بسنته وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ويطرد عنه الكفار والمبتدعة فى العقيدة وكل من تعامل بالربا أو جار فى الاحكام أو أعان ظالما أو جاوز حدا من حدود الله وهو ثابت باحاديث مشهورة تفيد التواتر المعنوى منها : حديث ابن عمرو ان النبى ﷺ قال : حوض أتى مسيره شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء ومن يشرب منه فلا يظمأ أبداً ( أخرجه الشيخان ) .

وعن أنس رضى الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ فى المسجد إذ اغفى إغفاءة ثم رفع رأسه ضاحكا فقيل : ما أضحكك يارسول الله ؟ قال نزلت على سورة آنفا ، فقرأ ( بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر ، فقال أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم : قال انه نهر وعدنيه ربى عز وجل عليه

خير كثير وهو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول : ربي إنه من أمتي فيقول : ما تدري ما أحدث بعدك » أخرجه الشيخان هذا وقد ذكر بعض العلماء ان الحوض قبل الصراط وقال المعنى يقتضيه فان الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فناسب تقديم الحوض ورجح القاضي عياض انه بعد الصراط وان الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار ، وقال : احاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه .. وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمرو بن العاص ، وعائشة وأم سلمة ، وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب وأبي ذر وثوبان وأنس ورواه غير مسلم من رواية ابي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي امامه وعبد الله بن زيد وابي برزه والبراء بن عازب وأسماء بنت ابي بكر وخولة بنت قيس وغيرهم . وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث متواترا .

## ٨) الشفاعة :

الشفيع هو صاحب الشفاعة ، واستشفعه إلى فلان أي سأله أن يشفع له إليه في فلان فشفعه فيه تشفيعا (١) والشفاعة هي الوسيلة والطلب واصطلاحا سؤال الخير للغير وهي تكون من الانبياء والعلماء العاملين والشهداء والصالحين فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « يشفع يوم القيامة ثلاثة : الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ( أخرجه ابن ماجه ) ورسولنا محمد ﷺ هو أول

---

(١) مختار الصحاح : مادة : يشفع ص ٣٤١ .

من يفتح باب الشفاعة حين يشفع فى فصل القضاء وهى الشفاعة العظمى المختصة به والتى يغبطه عليها الاولون والآخرون وهى المقام المحمود المذكور فى قوله تعالى : ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً (١) ،

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سئل النبى ﷺ عن المقـــام المحمود فى الآية فقال : هو المقام الذى أشفع فيه لأمتى ( اخرجه أحمد والترمذى والبيهقى ).

وعن ابن عمر أن النبى ﷺ قال : ان الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الاذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم فيقول لست بصاحب ذلك ثم بموسى فيقول كذلك ، ثم بمحمد ﷺ فيشفع ليقضى بين الخلق ، فيمشى حتى يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم ( اخرجه البخارى وابن جرير ) .

وعن ابى هريرة ان النبى ﷺ قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ، وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع ( أخرجه مسلم وابو داود )

**والشفاعة خمسة انواع :**

**الاول :** الشفاعة فى فصل القضاء ولاراحة الناس جميعا مسلمين وكافرين من طول الموقف وأهواله وهى مختصة بالنبى محمد ﷺ وتسمى الشفاعة العظمى وهى المقام المحمود المذكور فى القرآن.

**الثانى :** الشفاعة فى إدخال فريق من المسلمين إلى الجنة بغير حساب وهى مختصة به ﷺ أيضا .

---

(١) سورة الاسراء : آية : ٧٩ .

**الثالث :** الشفاعة فى زيادة الدرجات وهـذه ليست خاصة بالنبى ﷺ بالاجماع .

وهذه الأنواع الثلاثة لم يخالف فيها أحد من علماء التوحيد .

**الرابع :** الشفاعة فى مرتكب الكبيرة المستحقة دخول النار قبل أن يدخلها .

**الخامس :** الشفاعة فى إخراج مرتكب الكبيرة من النار . وهـذان النوعان انكرهما المعتزلة والخوارج وكذلك كل من قال بخلود مرتكب الكبيرة فى النار .

**٩ ) الجنه :**

الجنه لغة البستان وجمعها جنات والعرب تسمى النخيل جنة والاجتنان : الاستتار (١) والمراد بها هنا دار الثواب والنعيم المقيم التى أعدها الله لعباده المؤمنين وعند الله جنات عديدة ، تتفاضل فى درجاتها علوا ومقاما وحسنا ، فنها دار المقامة والغرفة وجنة الخلد وجنة المأوى ، وجنات النعيم والفردوس والعالية وعدن . يقول تعالى : قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا (٢) . ويقول سبحانه وتعالى : واجعلنى من ورثة جنة النعيم (٣) . ويقول عز وجل : ولقد رآه نزلة أخرى : عند سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى (٤) .

---

(١) مختار الصحاح : جنن صفحة ١١٣ .
(٢) سورة الفرقان : آية : ١٥ .
(٣) سورة الشعراء : آية : ٨٥ .
(٤) سورة النجم : آيات : ١٣ - ١٥ .

ويقول عز وجل : فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية (١) .

ويقول تعالى : وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم (٢) .

ويقول تعالى : ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا (٣) .

**اوصاف الجنه :**

وما ينبغى الإيمان به ان الله تعالى عظمت قدرته قد خلق الجنة قبل الخلق وكذلك النار وانه سبحانه وتعالى أعد الجنة ثوابا ، جزاء للمؤمنين الصالحين ، وان الجنة موجودة الآن ، وان الجنة فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وان أصحابها لهم فيها ما تشتهى أنفسهم ولا يذوقون فيها الموت بعد إذ يدخلونها خالدين فيها أبدا ومن أوصاف الجنة أنها تجرى من تحتها الأنهار وفيها عيون . يقول تعالى : مثل الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٤). وقال سبحانه وتعالى : مثل الجنة التى وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى

---

(١) سورة الحاقة : آيتان : ٢١ ، ٢٢ .
(٢) سورة التوبة : آية : ٧٢ .
(٣) سورة الكهف : آية : ١٠٧ .
(٤) سورة الرعد : آية : ٣٥ .

ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم (١) ويقول سبحانه وتعالى : ولمن خاف مقام ربه جنتان : فبأى آلاء ربكما تكذبان . ذواتا أفنان : فبأى آلاء ربكما تكذبان : فيهما عينان تجريان (٢) .

ويقول سبحانه وتعالى : والسابقون السابقون : أولئك المقربون ، فى جنات النعيم ، ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة . متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون . وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين ، كأمثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون . لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما . الا قيلا سلاما سلاما وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود . وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا : عربا أترابا لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين (٣) .

**(١٠) — النار :**

كما أنه يجب الإيمان بأن النار خلقها الله وأعدها للمجرمين وإنها موجودة كالجنة الآن وانها باقية إلى الأبد لا تفنى ولا تبيد وقودها الناس والحجارة :

قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس

---

(١) سورة محمد : آية : ١٥ .

(٢) سورة الرحمن : آيات : ٤٦ — ٥٠ .

(٣) سورة الواقعة . آيات : ١٠ — ٤٠ .

والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد ، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون (١) ويقول سبحانه وتعالى : يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد (٢) وقد وصف الحق سبحانه بعض ما فى جهنم فى قوله تعالى : « أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم . انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم طلعها كأنه رءوس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون . ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم (٣) وقال رسول الله ﷺ فى وصف النار : نارکم جزء من سبعين جزء من نار جهنم » وقال عليه الصلاة والسلام فى وصف أخف العذاب فى النار :

« ان أهون أهل النار عذابا يوم القيامة لرجل توضع فى أخمص قدميه جمرة يغلى منها دماغه » كذلك يجيب الإيمان بما يكون من تحاور وتخاطب بين أهل الجنة وأهل النار ، فانظر إلى هذا المشهد فى سورة الاعراف : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم ، فأذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون (٤) ثم قال سبحانه وتعالى : ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين (٥) وأما خلود الجنة والنار ، وخلود المؤمنين

---

(١) سورة التحريم : آية : ٦ .
(٢) سورة ق : آية : ٣٠ .
(٣) سورة الصافات : آيات : ٦٢ — ٦٧ .
(٤) سورة الأعراف : آيتان : ٤٤ — ٤٥ .
(٥) سورة الأعراف : آيه : ٥٠ .

الأولى والكافرين فى الثانية فقد تكرر ذكره والتأكيد عليه فى معظم المواقع التى ذكرت فيها الجنة والنار فى كتاب الله عز وجل وفى ذلك يقول رسول الله ﷺ: إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت يا أهل النار: لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم (١).

**أوصاف النار :**

قال الله تعالى : وان جهنم لموعدهم أجمعين، لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (٢).

وكما أن الجنة درجات فكذلك النار دركات ولها كما اخبر الحق سبحانه وتعالى سبعة أبواب، كل باب منها لفريق من المجرمين، وقد ورد ذكر دركات النار السبعة فى القرآن الكريم وهى : ١ — جهنم ٢ — لظى ٣ — الحطمة ٤ — السعير ٥ — سقر ٦ — الجحيم ٧ — الهاوية.

وقد توعد الله تعالى المنافقين بالدرك الأسفل من النار. يقول سبحانه وتعالى: ان المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا (٣) وفى وصف أهل النار يقول الحق سبحانه وتعالى : ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب أن الله كان عزيزا

---

(١) — الإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين. ص ٩٥ مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر لحسن أيوب ص ١٦٩. الإيمان بالقضاء والقدر لاحمد عز الدين البيانونى ص ١٠٦.

(٢) سورة الحجر: آيتان: ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة النساء: آية ١٤٥.

حكيما (١) ويقول الرسول ﷺ عن شرابهم : ان الحميم يصب على رؤسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوفه حتى يمرق من قدميه ثم يعاد كما كان وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وانتم مسلمون (٢) ثم قال : ان قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لافسدت على أهل الارض معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه ؟ (٣) .

هذا وأول عذاب النار وأول نعيم الجنة يلقاه الميت فى القبر ، فمن مات فقد قامت قيامته .

١١ ) — رؤية الله تعالى :

لقد اجمع أهل السنة على أن رؤية الله تعالى ممكنة عقلا واجبة نقلا وواقعة فعلا فى الآخرة للمؤمنين دون الكافرين بلا كيف ولا انحصار وقد تعددت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الامة على ذلك :

أ ) — قال تعالى : وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظره (٤) وقال سبحانه وتعالى : كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (٥)

ب ) — وقال جرير بن عبد الله : نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال : انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون (٦) فى رؤيته ،

---

(١) سورة النساء : آية : ٥٦ .
(٢) سورة آل عمران : آية : ١٠٢ .
(٣) الإيمان باليوم الآخر : تأليف أحمد عز الدين البيانونى ، ص ١٠٦ .
(٤) سورة القيامة : آيتان : ٢٢ ، ٢٣ .
(٥) سورة المطففين : آية : ١٥ .
(٦) — أى لا تشكون .

فإن استطعتم الا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ : وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب (١) .

# المطلب السادس

## الايمان بالقدر

الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان . فقد أجاب الرسول ﷺ جبريل عليه السلام حين سأله عن الإيمان : ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .

**تعريف القضاء والقدر :**

اختلفت آراء العلماء فى تعريف القضاء والقدر ، وليس الاختلاف فى حقيقته أو مصدره وإنما على توقيت كل من القضاء والقدر وفى أيهما يسبق الآخر :

أ — فذهب رأى إلى أن القدر هو علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات فى المستقبل وان القضاء هو إيجاد الله الأشياء حسب علمه وإرادته .

ب — وذهب رأى آخر إلى أن القضاء هو علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات فى المستقبل وان القدر هو إيجاد الله الأشياء حسب علمه وإرادته .

جـ — وذهب رأى ثالث إلى أن القضاء والقدر شىء واحد فلا فرق بينهما .

ولكن حين ننظر فى معنى كل من القضاء والقدر على حدة فسوف يتضح بينهما بعض الفروق :

---

(١) سورة ق : آية : ٣٩ .

**أولا : القضاء :**

لم يذكر القضاء فى القرآن الكريم ، وإنما ذكر فى مشتقاته فى آيات كثيرة فذكر فى صورة فعل كقوله تعالى : فقضاهن سبع سموات فى يومين (١) وفى قوله سبحانه وتعالى : والله يقضى بالحق ، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء (٢) كذلك ورد لفظ القضاء باسم المفعول فى قوله تعالى : ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا (٣) واسم الفاعل فى قوله سبحانه « . . فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا (٤) والمعنى لكل ما اشتق من لفظ القضاء فى هذه الآيات متقارب متشابه ، وهو الفصل والحسم فى الأمر وان قضاء الأمر معناه انجازه وحسمه .

وقد ذكر القرطبى فى تفسيره :

* ان القضاء يكون بمعنى الأمر كقوله تعالى : وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا (٥) .

* ويكون بمعنى الخلق كقوله تعالى : فقضاهن سبع سموات فى يومين .
* ويكون بمعنى الحكم كقوله تعالى : فاقض ما أنت قاض .
* ويكون بمعنى الفراغ كقوله تعالى : قضى الأمر الذى فيه تستفتيان (٦).
* ويكون بمعنى الارادة كقوله تعالى : إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون (٧).

---

(١) سورة فصلت : آية : ١٢ .
(٢) سورة غافر : آية : ٢٠ .
(٣) سورة مريم : آية : ٢١ .
(٤) سورة طه : آية : ٧٢ .
(٥) سورة الاسراء : آية : ٢٣ .
(٦) سورة يوسف : آية ٤١ .
(٧) سورة مريم : آية : ٣٥ .

* ويكون بمعنى العهد كقوله تعالى : « وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر » (١) .

والذى ينظر إلى المعانى التى ذكرها القرطبى للقضاء يرى أنها جميعا تنزع منزعا واحدا وتلتقى عند معنى واحد هو الفصل أو الحسم أو الانجاز . فالأمر والخلق والحكم والفراغ والارادة والعهد كلها تنبىء عن حسم الأمر وانجازه فأمر الله لا يقع إلا ومعه الحسم والانجاز وكذلك خلقه وحكمه وإرادته وعهده كلها تقع فى حسم وانجاز .

**ثانيا : القدر :**

ورد القدر فى القرآن الكريم مصدرا وفعلاً . قال تعالى « انا انزلناه فى القدر (٢) » وقال تعالى : انا كل شىء خلقناه بقدر (٣) » وقال سبحانه وتعالى : فقدرنا فنعم القادرون (٤) ، وقال تعالى : وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين (٥). ومعنى ( القدر ) التقدير ووضع الشىء فى موضعه المناسب له . من ذلك يتضح أن القضاء أخص من القدر بمعنى أن دائرة القدر أشمل وأتم فالقدر تدبير والقضاء حكم والقدر تصميم والقضاء تنفيذ .

يقول الإمام الغزالى : القدر : اسم لما صدر مقدراً عن فعل القادر والقضاء هو الخلق . والفرق بين القضاء والقدر انه أعم والقضاء أخص .

فالقدر إذن تقدير الأمر بدءاً والقضاء فصل ذلك الأمر وقطعه (٦) .

---

(١) سورة القصص : آية ٤٤ .
(٢) سورة القدر : آية ١ .
(٣) سورة القمر : آية : ٤٩ .
(٤) سورة المرسلات : آية : ٢٣ .
(٥) سورة فصلت : آية : ١٠ .
(٦) القضاء والقدر تأليف عبد الكريم الخطيب ( دار المعرفة ) ص ١٤٥ .

وفى الحديث الشريف ان كفار قريش جاءوا إلى النبى ﷺ يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية : ان المجرمين فى ضلال وسعر ، يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شىء خلقناه بقدر (١) أى بتقدير سابق عليه.

وفى الحديث الشريف : كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة .

**كيف نؤمن بالقدر :**

هناك ثلاث وجهات فى الإيمان بالقدر ، اثنتان على خطأ وواحدة هى الصواب :

**الوجهة الاولى :** وهى خاطئة : أن يعتقد المرء ان المرء مجبر فى كل ما يفعله وليس له إرادة ولا اختيار وفى هذه الحالة اما الا يعمل ويترك السعى معتمدا على قدرالله واما ان يعمل وينسب كل أعماله إلى الله تعالى وهذا ما اعتقده الجبرية .

**الوجهة الثانيه :** وهى خاطئة كذلك وفيها يعتقد المرء ان كل شىء بإرادة الإنسان وحده وينسى إرادة الله تعالى تماما بجانب إرادة الإنسان وقد انزلق إلى هذه الوجهة بعض من المعتزلة .

**الوجهة الثالثة :** وهى الاقرب إلى الصواب وإلى أحكام الدين وأصول العقيدة السليمة وهى أن يعتقد المرء ان الله تعالى قدر كل شىء قبل خلقه لقوله تعالى : ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور (٢) .

---

(١) سورة القمر : آيات : ٤٧ — ٤٩ .
(٢) سورة الحديد آيات : ٢٢ — ٢٣ .

ولقول الرسول ﷺ : كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ( مسلم والترمذى ) ولحديث ابن مسعود : حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : ان أحدكم يجمع خلقــه فى بطن أمه أربعين يوما نطفه ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغه مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمن بأربع كلمات : يكتب رزقه وأجله وعمله وشق أو سعيد فوالذى نفسى بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ( رواه البخارى ومسلم ) . ولكن تسليمنا بإرادة الله وقدره يوجب علينا أمرين :ـــ

**الاول :** أن نعمل ونسعى وفق ما هدانا إليه الله ورسوله عليــه الصلاة والسلام لقوله :

اعملوا فكل ميسر لما خلق له .

**الثانى :** أن نؤمن بأن ما نعمله هو مسئوليتنا ، كل إنسان يجزى بعمله ان خيرا فخير وان شرا فشر . قال تعالى :

فإذا جاءت الطامة الكبرى ، يوم يتذكر الإنسان ما سعى ، وبرزت الجحيم لمن يرى . فأما من طغى وأثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هى المأوى . واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى (١) .

---

(١) سورة النازعات : آيات : ٣٤ ـــ ٤١ ه

**ثمرة الايمان بالقدر**

للإيمان بالقدر خيره وشره آثاره الحميدة فى نفس المؤمن وأهمها :

**اولا** : طمأنينة النفس : فمن يؤمن بأن ما أصابه لم يكن ليخطئه وان ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، لا تجزع نفسه وتتبدد حسرات على ما يراه شرا اصابه أو غنما فاته ، كما لا يستخفه البطر والفخر والزهو لما يراه خيرا ناله واصابه. وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : ان الإنسان خلق هلوعا . إذا مسه الشر جزوعا وإذا مسه الخير منوعا . إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون (١) . فمن اعتقد انه موكول إلى نفسه وان ما يصيبه من الخير لا يرجع الى حسن تقديره وحده فانه لا يأخذه بنفسه الغرور ويجنح إلى البطر وينسى ربه وحقه من الشكر .

وكذلك من نزلت به مصيبة أو حل به سوء ، فرأى انه لا سبب لذلك إلا سوء تقديره أو سوء تدبير من حوله من الناس ، فإنه لا بد ان يصير مبالغا فى لوم نفسه ويزداد حقده على من حوله ممن رآهم سببا فيما حل به وتعظم حسرته لما أصابه ويشتد جزعه وهذا مما يضر به فى حياته ويسىء إلى صحته ونفسيته ويضر به فى آخرته كذلك فالنفس المؤمنة بقدر الله سبحانه وتعالى : تنعم بنعمة كبرى لا تعدلها نعم الحياة الأخرى وتلك هى نعمة الرضا فى كل حال حيث ترى ان المقادير تجرى بأمر الله عز وجل وبمشيئته وتدبيره وان الأحداث قد يكون ظاهرها شرا وفيها الخير الكثير ، وان ما نحبه ونسعى إليه قد يكون فى طياته الشر والضر الكبير .

---

(١) سورة المعارج : آيات : ١٩ — ٢٣ .

قال تعالى : كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون (١) ويقول عز وجل: ياأيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (٢) وبهذا الرضى بالقدر يصبح أمر النفس خيرا كله كما قال رسول الله ﷺ : عجبا للمؤمن ان أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا المؤمن ، ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له ( رواه مسلم وأحمد ) .

**ثانيا : البعد عن الحسد :**

والإيمان بقضاء الله وقدره يبعد صاحبه عن رذيلة الحسد التى توغر الصدور وتبعث على الشرور لأنه يعلم أن حسد الناس على ما أتاهم الله من فضله إنما هو فى حقيقته سخط على المقدور واعتراض على حكم الله تعالى وتقديره .

**ثالثا : — قوة الخلق :** والمؤمن بقدر الله سخى لا يبخل وشجاع لا يجبن إذ هو يعتقد انه لا يقع له من يسر أو عسر ، وغنى أو فقر ، وحياة أو موت . . إلا ما كتبه الله له فيقبل على عمله ويستقبل حياته غير هياب ولا يخاف فقرا يحل به لسخائه وكرمه ولا موتا يصيبه لشجاعته وإقدامه (٣).

**رابعا : — السعى والاخذ بالاسباب :** وأخيرا فإنه من ثمار الإيمان بعقيدة

(١) سورة البقرة : آية : ٢١٦ .
(٢) سورة النساء : آية : ١٩ .
(٣) الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر لأحمد عز الدين البيانونى صفحة : ١١٣ .

القدر أن يسعى المرء فى حياته ويأخذ بالأسباب ، مع التوكل على الله عز وجل ، والإيمان بأن بيده ملكوت كل شىء ، والإيمان بأن الأسباب لا تعطى النتائج إلا بإذن الله سبحانه وتعالى ، فالذى خلق الأسباب هو الذى خلق النتائج والثمار ، فمن أراد النسل الصالح فلا بد أن يتخذ لذلك أسبابه بأن يتخير لنطفته المرأة الصالحة ويتزوجها ، ولكن زواجه قد يعطى الثمار وهى النسل الصالح وقد لا يعطى حسب إرادة العزيز الحكيم ومشيئته (١) ، يقول عز وجل : لله ملك السموات والأرض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير (٢) .

## المبحث الثالث

### عن النبوة والوحى

نتناول فى هذا المبحث : الكلام عن النبوة والوحى بالترتيب التالى :—

**المطلب الاول** : عن معنى النبوة والوحى .

**المطلب الثانى** : عن رد شبهات بشرية الوحى .

**المطلب الثالث** : عن النبوة الخاتمة ونسخها للاديان .

**المطلب الرابع** : عن خصائص الرسالة المحمدية .

وفيما يلى تفصيل ذلك :

---

(١) والإيمان للدكتور محمد نعيم ياسين صفحة ٩٨ .
(٢) سورة الشورى : آيتان : ٤٩ ، ٥٠ .

# المطلب الاول

## الفرع الاول : النبوة

**معنى النبوة لغة :**

عند العرب معنى النبوة والنباوة هو ما ارتفع من الأرض فان جعل لفظ النبي مأخوذا منه فالمعنى أنه شرف على سائر الخلق ، ولكن الأرجح أن النبى اشتق من النبأ أو الخبر يقال نبأ وأنبأ أى أخبر ومنه النبى لانه أنبأ عن الله تعالى.

**ومعنى النبوة اصطلاحا :**

النبوة هى اصطفاء من الله تعالى لمن يشاء من البشر يوحى إليه بشرع دون أن يكلف بتبليغه للناس ، وبذلك يتضح الفرق بين النبى والرسول فالرسول إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمر بتبليغه ، فالرسالة اذن أعلى مرتبة من النبوة ، لان كل رسول نبى وليس كل نبى رسولا وعدد الانبياء أكبر بكثير من عدد الرسل ، أما الرسل فهم كما جاء عن رسول الله ﷺ : ثلاثمائة وخمسة عشر رسولا ومن ورد ذكرهم بالقرآن الكريم يبلغون خمسة وعشرين رسولا.

**خصائص النبوة :**

**اولا :— النبوة اصطفاء :** لا يبلغ أحد النبوة بسعيه ولا تنال بطول العبادة ولا بأمانى الإنسان ، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى عن كراهية الكافرين والمشركين من اليهود والنصارى أن يختار الله تعالى للنبوة من يشاء من عباده ، وكذلك للرسالة : ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم (١) .

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٠٥ .

وقد فسر الخير والرحمة هنا بالنبوة والوحى (١) . ويقول سبحانه وتعالى : وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث حيث يجعل رسالته ، سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون (٢) والله تعالى يقول عن ابراهيم واسحق ويعقوب : واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الايدى والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار (٣) .

**ثانيا : — الانبياء بشر :**

اقتضت ارادة الله وحكمته أن يكون الأنبياء من البشر ، أى من جنس الناس لأسباب من أهمها : —

١ ) ان الانبياء قدوة للناس وفيهم الاسوة الحسنة ومن الطبيعى أن يكون الاسوة أفرادا مماثلين فى البشريه لمن يتأسون بهم حتى يمكن الاقتداء بهم فى سلوكهم وأخلاقهم وتصرفاتهم .

٢ ) وحين يكون النبى رسولا فلا بد له أن يخاطب قومه الذين أرسل اليهم ويجتمعوا معه ويسألونه فلو كان بشرا مثلهم لفهموا منه وفهم عنهم وشعر بما يشعرون به ولو كان الرسل من الملائكة لما استطاع البشر ان يأخذوا عنهم أو يجتمعوا بهم ولكان للناس حجة فى عدم الاتباع للرسل وهو ان يقولوا : هؤلاء الذين بعثهم الله الينا وأمرنا باتباعهم ليسوا من جنسنا فليسوا بشرا — وإنما هم

---

(١) تفسير القرآن الكريم للبيضاوى صفحة ٣٨ .
(٢) سورة الانعام : آية : ١٢٤ .
(٣) سورة ص : آيات : ٤٥ — ٤٧ .

ملائكة وطبيعتنا تختلف عن طبيعتهم ، فهم اسمى منا خلقا وأطهر منا عملا وأكرم مقاما لأن الملائكة الاطهار « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » ثم ان الملائكة لا يأكلون ولا يشربون وليس فيهم شهوات ولا نزعات كالبشر ، ولو جاء الملك بصورته التي هو عليها لفزع منه الناس وولوا الادبار لأنهم لم يعهدوا مثل تلك الصور ولم يروا مثل هذا الخلق العظيم ، روى أن النبي ﷺ رجع في بعض ايامه من غار حراء فسمع صوتا ، فنظر أمامه فوجد جبريل عليه السلام قد جلس على كرسي وقد ملأ ما بين السماء والأرض ففزع وارتعد ورجع إلى بيته وهو يقول ( دثروني . . دثروني ) كما رآه مرة أخرى وقد بسط جناحيه فسد ما بين المشرق والمغرب ولو جاءهم بصورة بشرية لشكوا في أمره والتبس عليهم الأمر . وقد ذكر الله تعالى ذلك في رده على المشركين حين طلبوا أن يكون النبي المرسل من الملائكة : وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو انزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون (١) وقال تعالى :

فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل (٢) ويقول سبحانه وتعالى : قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (٣) وكان الكفار والمشركون يعجبون ولا يصدقون ان يكون الرسول عليه الصلاة والسلام رجلا كسائر الناس يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له

---

(١) سورة الانعام . آيتان : ٨ ، ٩ .

(٢) سورة هود : آية : ١٢ .

(٣) سورة الاسراء : آية : ٩٥ .

جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا (١) .

ثم ان الله خلق الجن والانس لعبادته والعبادة تقتضى الجهاد والفتنة قال تعالى : احسب الناس ان يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين (٢) ويقول تعالى : « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون (٣) ومن أولى الانبياء والرسل بجاهدة النفس واكتساب الدرجات العلى ؟

**ثالثا : — اجر النبوة على الله تعالى :**

لا يطلب الانبياء أجرا من أحد من الناس ولا يقبلون على تبليغ الرسالة مقابلا وإنما أجرهم وثوابهم عند الله تعالى ، قال ذلك كل الرسل والأنبياء ، فهذا هود عليه الصلاة والسلام يخاطب قومه فيقول : يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ، إن أجرى الا على الذى فطرنى أفلا تعقلون (٤) ، وهذا نبى الإسلام محمد عليه الصلاة والسلام يقول :

« قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا » (٥) ونوح عليه الصلاة والسلام قال لقومه « انى لكم رسول أمين . فاتقوا الله واطيعون ـ وما أسألكم عليه من أجر ان أجرى الا على رب العالمين (٦) .

---

(١) سورة الفرقان : آيتان : ٧ ، ٨ .
(٢) سورة العنكبوت : آيتان : ٢ ، ٣ .
(٣) سورة الفرقان : آية : ٢٠ .
(٤) سورة هود : آية : ٥١ . (٥) سورة الفرقان : آية : ٥٧ .
(٦) سورة الشعراء : الآيات : ١٠٧ — ١٠٩ .

**رابعا : — الاتجاه إلى التوحيد :**

ومن خصائص النبوة ، اتجاه اصحابها إلى الدعوة إلى عقيدة التوحيد : توحيد الله وحده ونبذ كل ما سواه ، والحث على الإيمان بالغيب ، — والتذكير بالحياة الاخرة ، واخلاص الدين والعبودية لله وحده والأنبياء دعاة عقيدة نقية سليمة يقول الله تعالى عل لسان عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام : وان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (١) ويقول تعالى : قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون (٢)

**— مناقب الانبياء ·**

وأنبياء الله وان كانوا من البشر إلا أنهم اتصفوا بمناقب وصفات خلقية ونفسية جعلتهم مثلا عليا للانسانية فى نواح متعددة ، ومن أهم تلك المناقب ما يلى :

**اولا · — الصدق ·**

الصدق من أبرز صفات الأنبياء ، فالنبى قريب من الله ، متصل به وحيه ، والله تعالى لا يصطفى للنبوة إلا الاطهار الابرار ، ولقد أثنى الله تعالى على صدق أنبيائه وحسن خلقهم ، والصدق هو الذى يجعل كل ما ينطق به النبى حقا ولا يقصد إلى الكذب أبدا ، مما جعل من حولهم من الناس يقرون لهم بصفات الصدق والامانة حتى لو كانوا اعداءهم ، وهذا ما كان من قريش فقد عرف الرسول عليه

---

(١) سورة مريم : آية : ٣٦ .

(٢) سورة آل عمران : آية : ٦٤ .

الصلاة والسلام عندها بالصادق الأمين ، والله تعالى يمقت الكاذبين مقتا شديدا . ويصف الكذب بأنه إثم مبين ، يقول تعالى : يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون . كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون (١) ويقول عز وجل « انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا (٢) فإذا كان الله تعالى يحذر المؤمنين من الكذب فهل يليق أن يتصف به نبى وهو الامين على وحى الله وحسن البلاغ للناس ؟ .

يقول الحق سبحانه وتعالى « فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا . ووهبنا لهم من رحمتنا وجعلنا لهم لسان صدق عليا (٣) ويقول تعالى : واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا (٤) .

**ثانيا — قوة النفس**

اتصف جميع الانبياء بقوة النفس وتتجلى تلك القوة فى الصبر والجلد واحتمال المكاره والأذى وتحمل العنت والاستهزاء والتكذيب من أقوامهم ، يقول الحق سبحانه وتعالى : يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزءون (٤) . وكل الرسل قد تعرضوا للايذاء والشر الذى وصل إلى حد الاحراق بالنار كما حدث لابراهيم عليه الصلاة والسلام يقول تعالى : قالوا ابنوا

---

(١) سورة الصف : آيتان : ٢ ، ٣ .
(٢) سورة النساء : آية : ٥٠ .
(٣) سورة مريم : آيات : ٤٩ ، ٥٠ .
(٤) سورة مريم : آية : ٥٤ .
(٥) سورة يس : آية : ٣٠ .

له بنيانا فالقوه فى الجحيم . فأرادوا به كيدا فجعلناهم الاسفلين (١) ولكن ولكن الله نجاه من شرهما: قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين ، قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم . وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخسرين (٢) وهذا الصبر والجلد الذى يتحلى به الأنبياء والرسل يرفع درجاتهم ويعلى قدرهم ، والله يحثهم على الثبات والعزيمة : يقول تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم (٣) ويحثه على جميل الصبر : فاصبر صبرا جميلا . انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا (٤) . . حتى إذا استمر تكذيب الأنبياء والمرسلين ويئسوا من اعتداء أقوامهم ، لم يتخلى عنهم ربهم وأمدهم بنصره . يقول تعالى : حتى إذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين (٥) .

**ثالثا : عصمة الانبياء :**

من المزايا التى امتاز بها الأنبياء على بقية البشر ، بعدهم عن اقتراف المعاصى وعزوفهم عن اتباع الشهوات واجتنابهم لكل ما يخل بالمروءة أو يحط من الكرامة . فهم الأسوة الحسنة لأقوامهم والقدوة للبشر ، يقول تعالى : أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده (٦) ويقول سبحانه : لقد كان لكم فى رسول الله

---

(١) سورة الصافات : آية : ٩٧ ، ٩٨ .
(٢) سورة الأنبياء : آيات : ٦٨ — ٧٠ .
(٣) سورة الاحقاف : آية : ٣٥ .
(٤) سورة المعارج : آيات : ٥ — ٧ .
(٥) سورة يوسف : آية : ١١٠ .
(٦) سورة الانعام : من آية ٩٠ .

أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً (١) .

**رابعا : المقصود بالعصمة :**

العصمه فى اللغة تعنى المنع ، يقال عصم نفسه عن الكذب أى منع نفسه عنه ، وعصمه الطعام أى منع عنه الجوع واعتصم بالله أى امتنع بلطفه عن المعصية وقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله يجوز أن يراد أن لاذا عصمه ، واعتصم بكذا واستعصم إذا تقوى وامتنع (٢) يقول تعالى : قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوءا أو أراد بكم رحمة ، ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (٣) ويقول سبحانه ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم (٤)

قال القرطبى : وسميت العصمه عصمه لأنها تمنع من ارتكاب المعصية وأما فى الاصطلاح الشرعى : فان العصمه هى حفظ الله لانبيائه ورسله عن الوقوع فى المعاصى والذنوب وارتكاب المحرمات والمنكرات ، فالعصمة ثابتة للأنبياء وهى من صفاتهم التى أكرمهم الله تعالى بها لأنهم القدوة لغيرهم من الناس ، فلزم أن يكونوا مثلا عليا فى قوة الخلق وسلامة القول والعمل . وقد اختلف العلماء فى كون العصمه بعد النبوة والرسالة فحسب أم يمكن أن تكون قبلهما والراجح أنها تكون قبلهما كذلك خاصة فيما يتعلق بالكبائر ، ثم ان العصمه لا تكون إلا لنبى أو رسول (٥) .

---

(١) سورة الأحزاب : آية : ٢١ .

(٢) مختار الصحاح : ص : ٤٣٧ .

(٣) سورة الأحزاب : آية : ١٧ .

(٤) سورة آل عمران : آية : ١٠١ .

(٥) النبوة والأنبياء : تأليف محمد على الصابونى صفحة : ٢٦ .

وقد نزل فى عصمة النبى ﷺ قول الحق جل وعلا : يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدى القوم الكافرين (١) ومن عصمة الله لرسوله عليه الصلاة والسلام حفظه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومعانديها ومترفيها مع شدة العداوة والبغضاء ونصب المحاربة له ليلا ونهارا .

وهذا الحفظ بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقدرته وحكمته العظيمة فصانه فى ابتداء الرسالة وقيض له عمه أبا طالب يدافع عنه ثم قيض له الأنصار فبايعوه على الإسلام وعلى أن يتحول إلى دارهم أى المدينة فلما هاجر إليهم ذادوا عنه وكلما هم أحد من أهل الكتاب والمشركين بسوء كاده الله ورد كيده عليه كما أن اليهود قد كادوا له بالسحر فحماه الله منهم ونزل عليه سورتى المعوذتين دواء لذلك ولما سمه اليهود فى ذراع تلك الشاه بخيبر علمه الله به وحماه منه ولهذا أشباه كثيرة ووقائع عديدة (٢) .

هذا ، وأهل الكتاب لا يقولون بهذه العصمه ، وكتبهم المقدسة ترمى بعض كبار الإنبياء بكبائر الفواحش المنافية لحسن الاسوة بل التى تجرىء على الشرور والمفاسد . ومن النصارى من يجعل معاصى الأنبياء دليلا على صدق عقيدتهم فى أن المسيح هو المعصوم وحده لأنه رب وآله ( استغفر الله ) ولأنه هو المخلص للناس من العقاب على الخطيئة اللازمة لكل ذريه آدم بالوراثة له وانه لا شفيع ولا مخلص لهم غيره ، لأن المخطىء لا يخطىء المخطئين وهو منهم .

وهذه العقيدة وثنية مخالفة لدين الانبياء وكتبهم والعقل (٣) .

---

(١) سورة المائدة : آية : ٦٧ .

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير . الجزء الثانى . صفحة : ٧٧ .

(٣) الوحى المحمدى تأليف محمد رشيد رضا : الطبعة الثامنة ص : ٥١ .

## الفرع الثانى

### الوحى

**الوحى لغة :** الكتاب وهو أيضا الاشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفى وكل ما القيته إلى غيرك يقال وحى اليه الكلام يحيه وأوحى ايضا وهو أن يكلمه بكلام يخفيه . وأوحى بمعنى أشار . قال تعالى . فخرج على قومه من المحراب فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا (١) أى أشار اليهم ولم يتكلم . والوحا السرعة والوحى السريع (٢) .

فمعنى الوحى لغة اذن هو الاعلام الخفى السريع الخاص بمن يوجه اليه بحيث يخفى على غيره . ومنه الالهام الغريزى كالوحى إلى النحل ، والهام الخواطر بما يلقيه الله فى روع الإنسان السليم الفطرة كالوحى إلى أم موسى . وقد يكون الوحى بالشر والسؤ وهو وسوسة الشيطان ، قال تعالى : وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم (٣) وقال عز وجل : وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون (٤) .

**والوحى فى الاصطلاح الشرعى :** هو اعلام الله تعالى لنبى من أنبيائه بحكم شرعى أو بأمر من الأمور . وعرفه محمد رضا بأنه : عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة والاول بصوت يتمثل لسمعه أو بغير صوت .

---

(١) سورة مريم : آية : ١١ .

(٢) مختار الصحاح : ص ٧١٣ .

(٣) سورة الانعام : آية : ١٢١ .

(٤) سورة الانعام : آية : ١١٢ .

وهذا التعريف الاخير يشمل أنواع الوحى الثلاثة الواردة فى قول الله عز وجل : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه ما يشاء انه على حكيم (١) والوحى من الادلة على حب الله تعالى لعباده ولطفه بهم وانه بهم رءوف رحيم يحب لهم الهدى واتباع الطريق المستقيم والتوجه إليه وحده بالعبادة وهو دليل كذلك على انه سبحانه لا يترك الناس سدى وانه لم يخلقهم عبثا وإنما لعبادته والاتجاه اليه . وقد أوحى الله تعالى إلى أنبيائه وأوحى إلى آدم عليه الصلاة والسلام بأن يسكن وزوجه الجنة ولا يقربا تلك الشجرة ، يقول سبحانه وتعالى : وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين (٢) وقال عز وجل : فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى . ان لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى (٣) وعن أبى ذر قال : قلت يا رسول الله أرأيت آدم أنبيا كان قال : نعم نبيا رسولا يكلمه الله قبيلا . يعنى عيانا (٤) . وقد أوحى الله تعالى لأنبيائه ورسله وكلم الله موسى تكليما ؛ قال تعالى : انا أوحينا اليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا . ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما (٥) .

---

(١) سورة الشورى : آية : ٥١ . (٢) سورة البقرة : آية : ٣٥ .
(٣) سورة طه : آيات : ١١٧ — ١١٩ .
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ ص : ٧٨ .
(٥) سورة النساء : آية : ١٦٣ ، ١٦٤ .

**كيفية الوحى :**

لقد أخذ وحى الله تعالى لرسله وأنبيائه ثلاث صور :

الأولى : الكلام من وراء حجاب : وهو ان يسمع كلام الله دون أن يرى الله كما سمع موسى عليه الصلاة والسلام النداء من وراء الشجرة . روى ان موسى عليه الصلاة والسلام لما اقترب من النار وجدها نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء ونودى من رب العالمين ، يقول تعالى : الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى . وهل أتيك حديث موسى . إذ رءا نارا فقال لأهله امكثوا انى ءانست نارا لعلى ءاتيكم منها قبس أو اجد على النار هدى . فلما أتاها نودى ياموسى . انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ، وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى (١) وقال موسى عليه الصلاة والسلام : انى عرفت أنه كلام الله تعالى لأنى أسمعه من جميع الجهات وبجميع الأعضاء (٢) .

الثانية : ما يلقيه ملك الوحى المرسل من الله إلى رسول الله فيراه متمثلا بصورة رجل أو بصورته الملكية ، غير متمثل فى صورة ، ويسمع منه الرسول أو يعى عنه . وفى صحيح البخارى ان الحرث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال يارسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ فقال رسول الله ﷺ أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه وقال : وأحيانا يتمثل إلى الملك رجلا فيكلمنى فأعى ما يقول . قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه

---

(١) سورة طه : آيات : ٨ — ١٤ .
(٢) تفسير البيضاوى جـ ٢ ص ٢٢ .

ليتفصد عرقا (١) قال تعالى : والنجم إذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة (٢) فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى إلى عبده ما أوحى (٣) وشديد القوى هو جبريل عليه السلام وقد قيل فى معنى : استوى انه استقام على صورته الحقيقية التى خلقه الله تعالى عليها وقيل ما رآه أحد من الأنبياء فى صورته غير محمد عليه الصلاة والسلام وانه رآه مرتين مرة فى السماء ومرة فى الأرض (٤) والوحى بواسطة الملك قد يكون بالالقاء فى القلب أو بالنفث فى الروع أى فى القلب والخلد والخاطر كحديث : ان جبريل قد نفث فى روعى ان نفسا ان تموت حتى تستوفى رزقها وأجلها ...

الثالثة : الرؤيا الصادقة : وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : أول مابدىء به رسول الله ﷺ من الوحى : الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح (٥) . ومن الوحى بالرؤيا كذلك رؤيا إبراهيم عليه الصلاة والسلام والتى جاء فيها قول الحق سبحانه وتعالى . فبشرناه بغلام حليم . فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام انى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين (٦) قيل يحتمل

---

(١) صحيح البخارى — ج ١ ص ٢ .
(٢) ذو مرة : أى ذو حصافة فى رأيه وعقله .
(٣) سورة النجم : آيات : ١ — ١٠ .
(٤) تفسير البيضاوى ج ٢ ص ٢٠٧ .
(٥) صحيح البخارى جزء أول صفحة : ٢ .
(٦) سورة الصافات : آيتان : ١٠١ ، ١٠٢ .

انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى ليلة التروية ان قائلا يقول له : ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح رأى انه من الله أو من الشيطان فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الأيام الثلاثة بالترويه وعرفه والنحر (١) .

وجدير بالاشارة ان بعض العلماء يقصر الوحى على الصورتين الأولى والثانية فحسب أى على خطاب الله تعالى من وراء الحجاب وعلى وحى الملك وقال تعالى : لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا (٢) وأوحى سبحانه وتعالى إلى أم موسى بالرؤيا أو الالهام ان ترضعه وتلقيه فى اليم . وجدير بالإشارة أن بعض العلماء يقصر الوحى على خطاب الله تعالى من وراء الحجاب أو بواسطة ملك الوحي والصحيح هو ان الوحى بالمعنى الخاص يشمل كلام الله تعالى من وراء حجاب وكلام الملك أما الوحى بالمعنى العام فيشمل معهما الالهام والرؤيا الصادقة والنفث فى الروع ... والرؤيا الصادقة والالهام مما يقع للأنبياء كما يقع لغير الأنبياء كما سيلى (٣) .

**الوحى لغير الانبياء :**

أوحى الله تعالى لغير الأنبياء فمن ذلك :

أولا : ما أوحاه الله تعالى لبعض البشر فقد أوحى الله تعالى الى أم

---

(١) تفسير البيضاوى جـ ٢ ص ١٤٢ .

(٢) سورة الفتح : آية : ٢٧ .

(٣) الوحى المحمدى الأستاذ محمد رشيد رضا صفحة ١١١ .

موسى ، قال تعالى : وأوحينا إلى أم موسى ان ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى انا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين(١). والوحى هنا اما بالهام أو رؤيا .

ثانيا : وحى الله تعالى الملائكة : ومن ذلك قوله تعالى : إذ يوحى ربك إلى الملائكة انى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان (٢) .

ثالثا : الوحى للنحل : يقول تعالى : رأوحى ربك إلى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون (٣) . ويقصد بالوحى هنا ان الله تعالى الهمها وقذف فى قلوبها .

رابعا : الوحى للسموات : لقولة تعالى : فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم(٢). والوحى هنا هو الامر بأن حمل السموات عليه اختيارا أو طبعا وقيل الوحى إلى أهل السموات بأوامره ونواهيه (٥) .

---

(١) سورة القصص : آية : ٧ .
(٢) سورة الانفال : آية ١٢ .
(٣) سورة النحل : آية ١٨ .
(٤) سورة فصلت : آية : ١٢ .
(٥) تفسير القرآن الكريم للبيضاوى حـ ١ ص : ٢٩٤ .

## المطلب الثانى

### فرية بشرية الوحى

إنكار الوحى جرم عظيم وكفر بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله لا يقدم عليه إلا كل كفار عنيد، صرف الله قلبه عن الهدى والنور وليس ذلك بأمر مستحدث جديد، بل هو قديم قدم رسالات الله ومنذ أرسل الله تعالى رسله لهداية الناس، يقول الحق سبحانه وتعالى: « وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين، وكفى بربك هاديا ونصيرا (١) وقال سبحانه وتعالى: وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون (٢).

فقد انكر كفار قريش الوحى المنزل على الرسول عليه الصلاة والسلام وافتروا على الله ورسوله افتراء عظيما، يقول الله سبحانه وتعالى:

وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى (٣).

وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا (٤).

وكذبوا بالحق الذى جاءهم كما كذب الذين من قبلهم: يقول تعالى:

ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤون (٥) »

---

(١) سورة الفرقان: آية: ١٣.

(٢) سورة الانعام: آية: ١١٢.

(٣) سورة سبأ: آية: ٤٣.

(٤) سورة الفرقان: آية: ٥.

(٥) سورة ياسين: آية: ٣٠.

ومن أسوأ صور الظلم الافتراء والكذب على الله تعالى ، والإدعاء الكاذب بأن الله أوحى لمن لم يوح إليه أو من أدعى انه سيأتى بمثل ما أنزل الله تعالى : يقول تعالى : ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلى ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (١) وكل من زعم أن الوحى ليس من السماء وانه من صنع بشر فقد اثبت على نفسه العجز وأقر بالظلم والافتراء فقد تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثل هذا القرآن العظيم فقال تعالى : قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (٢)

ثم ان الله تعالى تحدى الكفار أن يأتوا بعشر صور مثله بل تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة أو بحديث مثله فما استطاعوا وقد انزله الله تعالى بلسانهم العربى وهم حينئذ فى ذروة الفصاحة وقوة البيان والبلاغة وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى : أم يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين (٣) ولا يقول ببشرية الوحى الا من طمس الله على قلبه فإنه لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور فعجز عن رؤية النور ، فى وحى الله وكتابه ، وما فيه من صور الاعجاز فى المعانى والبيان .

---

(١) سورة الأنعام : آية : ١٩٣ .
(٢) سورة الاسراء : آية : ٨٨ .
(٣) سورة هود : آية ١٣ .

وفى عصرنا الحاضر لم يعدم القرآن أعداء من الكفار والمشركين وقد عادوا يرددون ذلك القول الباطل عن بشرية الوحى وقد نسوا أو تناسوا ان من أعظم ما يوصف به القرآن الكريم ، حفظ الله تعالى له وأخباره فيه بذلك الحفظ « انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » فقد ظل القرآن الكريم محفوظا بفضل الله لم يتبدل فيه حرف ولم يتغير منه شىء منذ أنزله الله تعالى وحتى عصرنا الحاضر وسيظل محفوظا دائما أبدا بأمره تعالى وقدرته .

والذين قالوا ببشرية الوحى من مفكرى الغرب هم من لا يؤمنون بعالم الغيب ولا يفهمون اتصال عالم الشهادة بعالم الغيب ، فقالوا ان محمداً عليه الصلاة والسلام قد جاءت رسالته وأفكاره الهاما فاض من عقله الباطن أو نفسه الخفية الروحانية على مخيلته وانعكس اعتقاده على بصره فرأى الملك ماثلا له ، فالخلاف مع هؤلاء الضالين يبدأ من اعتبارهم الوحى ذاتيا أى نابعا من نفس الرسول عليه الصلاة والسلام ولا يسلمون بقول الحق سبحانه وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين [1] .

ونفس اولئك المفترون الذين يستكثرون أن يكلم الملك محمدا عليه الصلاة والسلام لا يستكثرون أن يجعلوا من عيسى بن مريم عبد الله ورسوله الها أو أبنا لله تعالى الله وتنزه عما يقولون علوا كبيرا وصلى الله على نبينا محمد الصادق الأمين وسلم تسليما كثيرا .

---

(١) سورة الشعراء : آيات : ١٩٢ — ١٩٥ . وراجع الوحى المحمدى : تأليف محمد رشيد رضا صفحة : ٤٥ .

# المطلب الثالث

## النبوة الخاتمة

## ونسخها للرسالات السابقة

جاء محمد ﷺ خاتم الانبياء والمرسلين ، وأكمل الرسالات السابقة وأبلغ الرسالة الكاملة الخالدة ، وقد مثل موقفه من الرسل الذين سبقوه بما رواه أبو هريره ، قال : قال رسول الله ﷺ : فضلت على الأنبياء بست ، قيل ما هى يارسول الله ؟ قال أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لى الغنائم وجعلت لى الأرض مسجدا وطهورا وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بى النبيون ، مثلى ومثل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كمثل رجل بنى قصرا ، فأكمل بناءه وأحسن بنيانه إلا موضع لبنة ، فنظر الناس إلى القصر فقالوا ما أحسن بنيان هذا القصر لو تمت هذه اللبنة ، الا فكنت أنا اللبنة ، الا فكنت أنا اللبنة (١) .

وقد جعل الله تعالى دين الاسلام آخر الأديان فى الأرض ، لا يقبل دينا غيره ، فقال تعالى : ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين والمقصود بذلك ان من يعرض عن الإسلام وما جاء به من توحيد الله تعالى والانقياد لحكم الله رب العالمين ، فهو ممن باء بالخسران حيث أبطل الفترة السليمة التى فطر الله الناس عليها (٣) .

لقد تقدمت نبوة الإسلام دعوات كثيرة لأديان عديدة ، ولكنها جميعا

---

(١) مسند الامام أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٤١٢ .
(٢) سورة آل عمران : آية : ٨٥ .
(٣) تفسير البيضاوى ج ١ ص : ٩١ .

لا تصلح واحدة منها لختم رسالة السماء وختم النبوة والأنبياء ، لأن تلك الأديان جميعا قد بدأت وانتهت قبل أن توجد فى اذهان الناس فكرة الإنسانية العامـــة وفكرة الإنسان المسئول المحاسب على أمانة العقل والضمير . فنبوات بنى إسرائيل لم تزل مقصورة على سلالة بشرية واحدة تنعزل بخصائصها عن سائر الامم وتحمل شرائعهم الصعبة الثقيلة التى نامو ا بحملها وقد خفف الله عنا تلك الأثقال التى أنصبت أو أتعبت من قبلنا من اتباع شريعة موسى عليه الصــلاة والسلام قال تعالى : لا يكلف الله نفسا إلا وسعها . لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنـــا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين (١) . وروى عن النبى ﷺ أنه قال : ان الله تجاوز لامتى عن ثلاثة : عن الخطأ والنسيان والاستكراه وقوله تعالى : ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا : أى لا تكلفنا من الاعمال الشاقة وإن اطقناها كما شرعته للأمم الماضية قبلنا من الاغلال والآصار (٢) التى كانت عليهم والتى بعثت نبيك محمدا ﷺ نبى الرحمة بوضعه عنا فيما أرسلته به من الدين الحنيف السهل السمح (٣) والمراد بتلك الأغلال والاصار ما كلف به بنو إسرائيل من قتل الانفس للتوبة وقطع موضع النجاسة من الثوب للطهارة وفرض خمسين صلاة عليهم فى اليوم و الليلة وصرف ربع المال للزكاة أو ما أصابهم مع ذلك من الشدائد والمحن (٤) .

---

(١) سورة البقرة : آية : ٢٨٦ .
(٢) الاصار جمع إصر ( بالكسر ) العهد وهو أيضا الذنب والثقل .
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ ص ٣٤٣ .
(٤) تفسير البيضاوى جـ ١ ص ٧٩ .

فالديانة اليهودية جاءت لبنى إسرائيل وكانت بها تلك الاحكام الثقيلة التى رفعها الله تعالى عن أمة الإسلام .

وأما المسيحية فقد جاءت رسالتها هداية لبنى إسرائيل وامتدادا لما جاءت به التوراه وبقى الإنسان بعد المسيحية محتاجا أشد الحاجة إلى رسالة تخلصه من الاعتماد على غيره فى النجاة من أوزاره والتكفير عن سيئاته والنهوض بتبعات صلاحه وتربية روحه .

وهكذا فإنه لما جاءت نبوة الإسلام صح فى حكم العقل أن تختتم بها النبوات جميعا لانها صالحة للانسان العاقل المسئول وهى دعوة صريحة لقوم يعقلون تدعوهم للتفكير فيما خلقه الله ، يقول الله تعالى : ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون (١) .

وقد يطيب للكثيرين فى عالم اليوم ان يفخروا باننا نعيش فى عصر العلم وهذا صحيح ولكن مالا ينبغى أن ينسى ان خاتمة النبوات هى التى أوحت للبشرية قبل أربعة عشر قرنا ان تسعى للعلم وتقدره وان يعيش الناس بعقولهم وبصائرهم وان يتأملوا الكون الذى خلقه الله وأسرار مخلوقاته ويسيروا فى مناكب الارض وكل اعجوبة من أعاجيب العلم فهى جزء من معجزات هذا الدين الذى جاء به خاتم النبيين (٢) .

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٦٤ .

(٢) الإسلام والحضارة الإنسانية : للاستاذ عباس محمود العقاد ص ١٣١ .

نسخ الرسالات السابقة : —

وقد جاء الإسلام بنسخ كل الرسالات السابقة ، وإذا كان قد جاء فيه شرع من تلك الشرائع أو بعض أحكام منها ، فلا نعتبر هذه الشرائع السابقة دليلا مستقلا بذلك وانما القرآن الكريم والسنة الشريفة هما مصدره ، قال تعالى : ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية (١) .

وما كان لرسول ان يأتى بآية الا باذن الله لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب (٢) .

وكان الضحاك بن مزاحم يقول فى قوله تعالى : ( لكل أجل كتاب ) أى لكل كتاب أجل يعنى لكل كتاب انزله الله تعالى من السماء مدة مضروبة عند الله ومقدارا معين فلهذا يمحو الله ما يشاء منها ويثبت ... يعنى حتى نسخت كلها بالقرآن الذى انزله الله تعالى على رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، كما فسر المحو والاثبات بأن الله تعالى يجعله فى كل شىء إلا الحياة والموت والشقاء والسعادة فانهما لا يتغيران (٣) .

---

(١) سورة الرعد : آية : ٣٨

(٢) سورة الرعد : آية : ٣٩ .

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جزء ٢ . صفحة : ٥١٩ .

# المطلب الرابع

## خصائص الرسالة المحمدية

ان رسالة الإسلام التى جاء بها محمد عليه الصلاة والسلام هى رسالة قد سبقتها رسالات عديدة ولكنها تتميز من بينها بخصائص معينة نجملها فى ثلاث هى ما يتعلق بموضوع الرسالة وهذه خصيصة الوسطية ثم ما يتعلق بمن تشملهم الرسالة وهذه خصيصة العمومية وأخيرا ما يتعلق بزمان سريانها وتلك هى خصيصة الدائمية .

وفيما يلى تفصيل هذه الخصائص الثلاث فى ثلاثة فروع :

# الفرع الاول

## وسطية الرسالة

قال الله تعالى : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا (١) .

والمقصود بوسطية الامة المسلمة أن يكون المسلمون يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لهم بالفضل والوسط ها هنا الخيار والأجود كما يقال قريش أوسط العرب نسبا ودارا أى خيرها . وكذلك كان رسول الله ﷺ وسطا فى قومه أى أشرفهم نسبا . ومنه الصلاة الوسطى التى هى أفضل الصلوات (٢) .

ولما جعل الله هذه الامة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأفصح

---

(١) سورة البقرة : آية : ١٤٣ .

(٢) وقد ورد أنها صلاة العصر .

المذاهب كما قال تعالى « هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس (١) وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : يدعى نوح يوم القيامة فيقول له هل بلغت ؟ فيقول نعم . فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم ؟ فيقولون : ما أتانا من أحد : فيقال لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمته . قال : فذلك قوله ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا ) قال والوسط العدل فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم اشهد عليكم .

رواه البخارى والترمزى والنسائى وابن ماجه من طرق عن الأعمش وقال الإمام أحمد أيضا : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ « يجىء النبى يوم القيامة ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون لا ، فيقال له هل بلغت قومك ؟ فيقول نعم : فيقال من يشهد لك ؟ فيقول محمد وأمته : فيقال لهم هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون نعم : فيقال وما علمكم ؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا ان الرسل قد بلغوا ، فذلك قوله عز وجل : ( وكذلك جعلناكم أمة وسطا ) قال عدلا ( لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » وقال أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ فى قوله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » قال : « عدلا » وعن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال : أنا وأمتى يوم القيامة على كوم مشرفين على الخلائق ما من الناس أحد إلا ود انه منا وما من نبى كذبه

---

(١) سورة الحج : آية : ٧٨ .

قومه إلا ونحن نشهد أنه قد بلغ رسالة ربه عز وجل ؛ وعن أبى بكر بن أبى زهير الثقفى عن أبيه : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يوشك ان تعلموا خياركم من شراركم ، قالوا بم يارسول الله ؟ قال : بالثناء الحسن والثناء السىء ، أنتم شهداء الله فى الأرض (١) .

ذلك شأن المسلمين فى الحياة الآخرة بين سائر الامم أما فى الحياة الدنيا فالوسطية فى الشريعة الإسلامية تعنى أن المسلمين خيار عدول مزكين بالعلم والعمل . والوسط هنا يعنى الخصال المحمودة لوقوعها بين طرفى افراط وتفريط كالجود بين الاسراف والبخل والشجاعة لوقوعها بين التهور والجبن ثم اطلق على على المتصف بها مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث كسائر الاسماء التى وصف بها وقد استدل بهذا على أن الاجماع حجة (٢) .

## الفرع الثانى

### عمومية الرسالة

ليست رسالة الإسلام خاصة بقوم بعينهم دون سائر الناس ولا بأمة ذاتها من بين سائر الامم ، بل هى رسالة الدين للناس كافة ، وفى ذلك يقول الحق عز وجل : وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣) فالله تعالى قد أرسل محمدا عليه الصلاة والسلام إلى جميع الخلائق من المكلفين وذلك كما فى قوله تعالى : قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ : ١ صفحة ١٩٠ .
(٢) تفسير القرآن الكريم للبيضاوى جـ ١ صفحة ٤٦ .
(٣) سورة سبأ : آية : ٢٨ .

جميعا (١) وكذلك فى قوله عز وجل : تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا قال ابن كعب فى قوله تعالى : ( وما أرسلناك إلا كافة للناس ) يعنى إلى الناس عامة وقال قتادة هذه الآية أرسل الله تعالى محمدا ﷺ إلى العرب والعجم فاكرمهم على الله تبارك وتعالى اطوعهم لله عز وجل . وعن عكرمة قال : سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول : ان الله تعالى فضل محمدا ﷺ على أهل السماء وعلى الأنبياء قالوا يا ابن عباس بم فضله على الأنبياء ؟ قال رضى الله عنه : ان الله تعالى قال : « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم (٣)، وقال للنبى ﷺ : وما أرسلناك إلا كافة للناس . فارسله الله تعالى إلى الجن الإنس . وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنهما قد ثبت فى الصحيحين ، رفعه جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله وسلم : « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الانبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لاحد قبلى وأعطيت الشفاعة ، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى إلى الناس عامة .

وفى الصحيح أيضا أن رسول الله ﷺ قال : بعثت إلى الاسود والاحمر قال مجاهد يعنى الجن والانس وقال غيره يعنى للعرب والعجم والكل صحيح (٤).

وإذا كان الرسول ﷺ قد بلغ الرسالة فى عصره وأدى الامانة كما كلفه بها

---

(١) سورة الاعراف : آية : ١٥٨ .
(٢) سورة الفرقان : آية : ١ .
(٣) سورة إبراهيم : آية ٤ .
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٣ ص : ٥٣٨ .

الله تعالى ، فان المسلمين اليوم وفى كل عصر يقع عليهم عبء الدعوة إلى الإسلام ونشر حقائقه والتعريف به بين جميع أمم الارض ، لأنه دين الإنسانية جمعاء ، وان يكونوا دعاة بالحكمة والموعظة الحسنة وبأن يكونوا هم أنفسهم خير دعاة للاسلام بحسن العمل وحميد الخلق حتى يصبحوا قدوة حسنة لغيرهم واسان دعوة بالعمل والسلوك ، وقد انتشر الإسلام فى جهات عديدة من العالم ، خاصة فى جنوب آسيا وفى الكثير من جزر المحيط الهندى ، بفضل أولئك النفر من طوائف التجار المسلمين ، الذى بهرت أخلاقهم سكان تلك الاصقاع فعرفوا سماحة الإسلام وسمو أحكامه .

# الفرع الثالث

## دوام الرسالة

تحمل رسالة الإسلام فى ثناياها عوامل صلاحيتها للبقاء والخلود ، فهى تشمل تنظيم علاقة الإنسان مع نفسه ومع الناس وتنظيم مسلكه مع الآخرين وتنظيم العلاقة بين الفرد والمجتمع تنظيما يحفظ الحقوق ويحقق العدل والأمن ويمنع العدوان على الفرد فى الداخل وعلى المجتمع من الخارج والإسلام فى كل هذا صالح لكل الناس وفى كل زمان وذلك لأنه ثابت الاصول متطور الفروع : ثابت الأصول فى الخطوط العريضة والقواعد العامة الموجودة فى المصدرين الاصليين للتشريع وهما الكتاب والسنة والمصدرين المتفق عليهما عند الجمهور وهما : الاجماع والقياس والمصادر الفرعية الاخرى : كالاستصحاب والمصالح المرسلة والاستحسان والعرف وعمل أهل المدينة ( عند الإمام مالك رضى الله عنه ) .

والإسلام كدين ذى نظام صالح للحياة مدى الازمان ولكل الناس قد

تستهدف المقاصد العامة التى ترمى إلى حفظ الإنسان وهى الضروريات والحاجيات والتحسينات .

أما الضروريات فهى التى لابد منها لمصالح الناس فإذا أهملت عم الفساد وانتشرت الفوضى واختل نظام الحياة وهى خمسة : حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال وقد وضع الإسلام التشريعات الكلية والتشريعات الفرعية ، سلبية أو إيجابية لتحقيق المحافظة على هذه الضروريات وترك للعلماء فى باب الاجتهاد أن يبذلوا جهدهم فى معالجة أية مشكلة طارئة بحسب اختلاف الأمكنة والعصور والأعراف بالإجتهاد من الكتاب والسنة وباب الإجتهاد هو نفسه أكبر دليل على مرونة الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لكل زمان ، فإنه لما كانت الأحكام متناهية والوقائع التى تعرض للناس غير متناهية كان الإجتهاد لاستنباط الأحكام الجزئية للمشكلات والأمور التى تحدث وتجد كلما تقدم الزمان بالناس وذلك بالاستناد إلى الأصول الكلية للشريعة الإسلامية فى كل باب من أبوابها .

كما راعت أحكام الإسلام الحاجيات وهى الامور التى لابد منها للتوسعة على الناس ورفع المشقة عنهم سواء كان ذلك فى العادات أو المعاملات أو العبادات وعند الكلام عن مقاصد الشريعة الإسلامية وحرص الإسلام على أن يحقق منافع العباد وتصلح شؤونهم فى كل زمان فانه ينبغى التنبيه إلى مسألة جديرة بالنظر هى أن مقاصد الشريعة الإسلامية ليست كلها مقاصد مما يتعلق بمعيشة الإنسان وحاجاته المادية فحسب ، بل فيها مقاصد تبتغى النواحى المعنوية فى حياة الفرد والاسرة والمجتمع مثل اشاعة المحبة ونبذ الكراهية والحقد والحسد ، ومثل تحريم الربا لما له من أثر سيء فى تعميق النظرة النفعية وتعظيم القيم المادية لدى الفرد

والمجتمع إذا نحن نظرنا إلى النظم السياسية والإقتصادية الوضعية سواء فى الشرق أو الغرب وجدناها جميعا تفتقر إلى هذا التوازن فى مقاصد الحياة والحكم مما يجعلها تجنح نحو ناحية دون أخرى أو تهتم بجانب وتهمل جانبا آخر ولا ريب أن الجانب الذى تهمله التشريعات الوضعية فى الشرق والغرب على السواء هو الجانب الروحى والمعنوى ، والذى بدونه تغدو حياة الفرد والأسرة والمجتمع جامدة بغير معنى ، خالية من الرضى والعادة ، فضلا عن اشاعة الحقد وانعدام المودة وفقد روح الإيثار وغلبة الاثره ، مما يفتح الباب لانعدام الامن النفسى وكثرة الجرائم الخفية والظاهرة وهكذا لا يثبت فى ميزان الحقيقة والعدل سوى شريعة الإسلام وأحكامه ، فهى وحدها الصالحة للبقاء ، الغنية بعوامل التجديد الصالحة لكل زمان ومكان .

# المبحث الرابع

## عن النظرية العامة للاسلام

## نظرة الاسلام للانسان والكون والحياة

# المطلب الاول

### نظرة الاسلام للانسان

الحقيقة الاولى هى ان الاسلام إنما جاء من أجل الانسان ، لكى يحقق له السعادة فى الدنيا والآخرة ، بنهج ربانى سليم وبشرع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكل أحكام الإسلام إنما جاءت لصالح الانسان والبشرية جمعاء .

قال تعالى : من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون (١) فهذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحا وهو العمل المتابع لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ من ذكر وانثى بنى آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله فإن الله تعالى قد وعد بأن يحييه حياة طيبة فى الدنيا وأن يجزيه بأحسن ما عمله فى الدار الاخرة ، والحياة الطيبة تشمل وجوه الراحة من أى جهة كانت ، وقد روى عن ابن عباس وجماعة أنهم فسروها بالرزق الحلال الطيب ، وعن على بن أبى طالب بأنه فسرها بالقناعة ، وكذا قال ابن عباس وعكرمة ووهب بن منبه وقال على بن أبى طلحه عن ابن عباس أنها هى السعادة وقال الضحاك هى الرزق الحلال والعبادة فى الدنيا ، وقاله

---

(١) سورة النحل : آية : ٩٧ .

الضحاك أيضا هى العمل بالطاعة والإنشراح بها، والصحيح ان الحيـــاة الطيبة تشمل هذا كله كما جاء فى الحديث الذى رواه الامام أحمد عن عبد الله أن رسول الله ﷺ، قال: قد أفلح ورزق كفافا وقنع به وقال الإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال إن رسول الله ﷺ قال: ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يعطى بها فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته فى الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يعطى بها خيرا (١) فالمؤمن ينـــال الخيرين: خير الدنيا وخير الآخرة ويرزقه الله الحسنتين فيهما.

وقد ضمن الله المؤمن الفلاح بقوله سبحانه: قد أفلح المؤمنون. الذين هم فى صلاتهم خاشعون. والذين هم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئـــك هم الوارثون. الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون (٢). وقد جاء فى تفسير فلاح المؤمنين فى هذه الآيات من سورة المؤمنون انهم قد فازوا بأمانيهم: ولما كان المؤمنون مترقبين ذلك من فضل الله جاءت البشارة لهم من الله تعالى.

وما كان ليتأتى للانسان أن يحيا حياة طيبة ولا أن يتحقق له الفلاح والفوز فى الدنيا والآخرة لولا هداية الإسلام له ولولا نور القرآن الكريم وسنة رسول الله ﷺ. فالانسان بذاته ظلوم جهول: يقول تعالى: انا عرضنا الامانة على

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ٢ ص ٥٨٥.
(٢) سورة المؤمنون: آيات: ١ — ١١.

السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان انه كان ظلوما جهولا (١) ويقول تعالى : وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار (٢) ولو ترك الله الناس بغير هداية هذا الدين القويم اضل سعيها ولانتشر الفساد وعمت المرضى والفتن ومهما فكر الإنسان فلن يصل الى اهوائهم ما يصلح حاله ويهدى إلى الصراط المستقيم يقول الحق سبحانه وتعالى : ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات والارض ومن فيهن بل اتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون (٣) . فالإسلام يبصر الانسان بحقيقته ويبين له ان نفسه التى بين جنبيه هى التى تأمره بالسوء ولذا فينبغى ان يكون منها على حذر ، قال تعالى : وما ابرىء نفسى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم (٤) ثم أن الانسان خلق ضعيفا ( يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا ) (٥) وإن الانسان خلق هلوعا (٦) .

والله تعالى حين يبين للانسان السبيل الذى يتعين عليه أن يسلكه فإنه سبحانه هو وحده القادر على أن يفعل ذلك ولا يملك غيره فعله ، لأن الله هو الخالق للانسان وهو الاعلم بخبايا نفسه ومكنون فؤده ، يقول تعالى : ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد (٧) .

---

(١) سورة الاحزاب : آية : ٧٢ .
(٢) سورة إبراهيم : آيه : ٣٤ .
(٣) سورة المؤمنون : آية : ٧١ .
(٤) سورة يوسف : آية : ٥٣ .
(٥) سورة النساء : آية : ٢٨ .
(٦) سورة المعارج : آية : ١٩ .
(٧) سورة ق : آية : ١٦ .

ويقول عز وجل : (هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ انتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى (١) ونظرة الإسلام للانسان ليست قاصرة على اعتباره مخلوقا قاصرا ضعيفا عجولا فحسب بل تتجاوز ذلك إلى أمرين :

أحدهما : يتعلق بعلاقته بغيره من المخلوقات .

والثانى : يتعلق بغاية الإنسان من وجوده والهدف الذى ينبغى أن يتوجه اليه .

**اولا : علاقه الانسان بالمخلوقات**

جعل الله الإنسان أكرم مخلوقاته ، ففضله على الملائكة ، وهم عباد الله المكرمين وجنده الطاهرون الطائعون ، بقوله سبحانه وتعالى : وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين(٢) وفى أمر الله تعالى للملائكة بالسجود لآدم تكريم وتشريف له ، لأن السجود لا يكون إلا للافضل والأسمى ، يقول ابن كثير : كرامة عظيمة من الله تعالى لآدم امتن بها على ذريته ، حيث أخبر سبحانه وتعالى انه أمر الملائكة بالسجود لآدم وقد دل على ذلك أحاديث كثيرة أيضا ، ثم جاء ذكر الله تعالى بما فيه شرف آدم على الملائكة بما اختصه من علم اسماء كل شىء دونهم ، وهذا كان بعد سجودهم له فقال الله تعالى «وعلم آدم الأسماء كلها»(٣) قال مجاهد : علمه اسم كل دابة وكل طير وكل شىء وكذلك روى عن سعيد بن جبير وقتاده وغيرهم من السلف انه علمه

---

(١) سورة النجم : آية : ٣٢ .

(٢) سورة البقرة : آية : ٣٤ .

(٣) سورة البقرة : آية : ٣١ .

أسماء كل شيء ثم عرض الخلق على الملائكة ( فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم(١) . وعرف الملائكة أن الله فضل عليهم آدم في العلم والكرم ولما رأى الملائكة ما اعطى الله آدم من العلم اقروا له بالفضل .

هذا عن الملائكة ، وقد ثبت أن الله فضل آدم عليهم ، أما علاقة الإنسان بالمخلوقات الاخرى فان كل ما خلقه الله تعالى من سائر المخلوقات مسخر للإنسان فسخر الله تعالى الحيوان والطير وسخر ما في البحر لمنفعة الانسان . قال تعالى : ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر (٢) وقال سبحانه : وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وقال عز وجل : ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض .

**ثانيا : الغاية من وجود الانسان**

قد يتسائل المرء لماذا خلق الله الانسان وما هي الغاية من حياته ... فأما عن سبب خلق الانسان فقد ذكره الله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٣).

واما الغاية من حياة الانسان والهدف الذي ينبغي أن يسعى اليه فهو أن يحيا الحياة التي تعينه على تحقيق سبب خلقه ، أي ان يحيا الحياة التي تساعده على

---

( ١ ) سورة البقرة آية : ٣١ .
( ٢ ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جـ ١ ص ٧٢ .
( ٣ ) الاسراء : آية : ٧٠ . ثم النحل آية : ١٤ . ثم لقمان : آية : ٢٠ .

ان يعبد الله ، وكل حياة تبعد الانسان عن تحقيق هذه الغاية فهى حياه خاسرة ، سواء فى مجال السلوك الفردى أو الاسرى أو الإجتماعى ، ثم هناك غاية مثلى ينبغى العمل على تحقيقها دائما وهى السعى دائما نحو تحقيق المثل الأعلى فينبغى أن يتطلع الانسان إلى المثل العليا ويتجه بطاقته نحو تحقيقها فى حياته وذلك فى مجال العمل والعقيدة والسلوك والاخلاق .

# المطلب الثانى

## الانسان والكون

حدد الإسلام علاقة الإنسان بالكون فى ثلاثة اتجاهات :ـــ

الاتجاه الأول : هو التفكير فيه .

والاتجاه الثانى : هو الانتفاع به .

والاتجاه الثالث : هو فهم سنن الكون

### اولا : التفكير فى الكون

فى عديد من آيات الذكر الحكيم نجد دعوة الله تعالى للانسان ان يتفكر فى الكون من حوله ويتدبر فيه ، وينظر إلى قدرة الله العظيمة التى تتجلى فى خلقه وأحكامه والا ينسيه ما يألفه وما اعتاده من آيات الله وقدرته فيمر عليها دون تفكير ... يقول الله سبحانه وتعالى :

ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض

لآيات لقوم يعقلون [١] ويقول تعالى : ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (٢) .

فمن يتفكر فى خلق الله تعالى يعجب من دقة الصنع وروعة الخلق والتصوير ودقة الاحكام والتدبير والتسيير وسبحانه وتعالى خلق كل شىء بقدر وخلق كل شىء فقدره تقديرا .

وتتجلى عظمة خلق الله تعالى للكون فى نواح عديدة نورد منها ما يلى :ـــ

أولا : عظمة الخلق : فمن ينظر إلى السموات وعلوها وما فيها من نجوم وابراج يذهل لعظمة خلق الله . واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى : افلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (٣) .

ثانيا : عظمة القدرة : أقرأ قول الحق سبحانه وتعالى : أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الارض كيف سطحت (٤) .

---

( ١ ) سورة البقرة : آية : ١٦٤ .
( ٢ ) سورة آل عمران : آيتان : ١٩٠ ، ١٩١ .
( ٣ ) سورة ق : آيات : ٦ — ١١ .
( ٤ ) سورة الغاشية : آيات : ١٧ — ٢٠ .

ثالثا : روعة الخلق : فمن يتأمل صنع الله يرى عجبا يقول تعالى : —

ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانها كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ، ان الله عزيز غفور (١) .

رابعا : دقة الصنع : فنحن نرى الدقة فى تعاقب الليل والنهار ، وانتظام سير الكواكب فى افلاكها ودقة تقدير منازل القمر .

يقول تعالى : وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ، لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون (٢) .

خامسا : القدرة المعجزة : وفى الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون (٣) .

سادسا : حكمة الخالق : وتتجلى حكمة الله فى خلقه كل ذى روح من زوجين فى هذه الدنيا ، يقول تعالى : ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون (٤) ويقول تعالى : وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء

---

(١) سورة فاطر : آية : ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) سورة يس : آيات ٣٧ — ٤٨ .
(٣) سورة الرعد : آية : ٤ .
(٤) سورة الذاريات : آية : ٤٩ .

فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين (١) .

سابعا : عظمة التدبير : وكما تظهر قدرة الله تعالى العظيمة فى خلقه من خلال التأمل فيما سقناه من آيات تتبين لنا عظمة حكمته تعالى فى أحكام تدبيره لشئون هذا الكون بحيث يسير وفق نظام محكم بديع .

يقول تعالى : ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا (٢) .

## ثالثا : الانتفاع بالكون

ان التأمل والتفكير فى هذا الكون الذى خلقه الله تعالى ، هو ضرورة لتلبية حاجة الإنسان إلى المعرفة والحكمة ، واشباع الرغبة الفطرية إلى التدين عنده ، فالتأمل والتفكير هو ضرورة للجانب الروحى والنفسى فى الانسان ، ولكن الانسان له جسده ولهذا الجسد حاجاته من الطعام والشراب والملبس والسكن والدواء ، وقد خلق الله تعالى السموات والارض وما فيهن وسخر ما خلق للانسان ، فخلق له الانعام ، منها طعامه وكساؤه ، وتحمله وتحمل أثقاله ، يقول تعالى : أو لم يروا انا خلقنا لهم مما عملت أيدينا انعاما فهم لها مالكون ، وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون (٣) .

وقال تعالى : والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها

---

(١) سورة الحجر : آية : ٥ .

(٢) سورة فاطر : آية : ٤١ .

(٣) سورة يس : آيات : ٧١ — ٧٣ .

جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ان ربكم لرؤف رحيم ، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون (١) .

والله قد ذلل الأرض وجعل منها قرارا وجعلها للانسان يمشى فى انحائها ويأكل من رزقه ، يقول تعالى : هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور (٢) .

وكذلك تجد الارض ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال واتبع فيها من العيون وسلك فيها السبل وهيأ فيهـا من المنافع ومواضع الزرع والثمار ثم قال لعباده : سافروا وانتقلوا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات فسبحان الله المسخر الميسر المسبب (٣) .

والرسول عليه الصلاة والسلام يقول : اطلبوا الرزق فى خبايا الأرض .

### ثالثا : فهم سنن الكون

وانتفاع الإنسان بالكون وما خلق فيه ، وبالارض وما أودع فيهـا من معادن وسوائل وثمار ، لا يؤتى خير نتائجه إلا إذا فهم ان الله قد وضع سننا تسير عليها مخلوقاته ، وجعل ثمة قواعد وقوانين ، يسير عليها الكون فى حركاته وسكناته وينبغى للانسان ان يدرس كل تلك السنن ويفهم هذه القواعد والقوانين

---

(١) سورة النحل : آيات : ٥ — ٨ .
(٢) سورة الملك : آية : ١٥ .
(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج ٤ ص : ٣٩٧ .

لكى يسير عليها فى حياته وفى انتفاعه بما حوله ، وهذه السنن والقواعد والقوانين هى أيضا من صنع الله تعالى أوجدتها حكمته وأكمل بها نعمه على خلقه ، وأول ما يعين الانسان فى فهم سنن الكون وقوانين المخلوقات هو طلب العلم والاهتمام بالبحث خاصة العلم والبحث التجريبيين ومن أسف ان نجد العلماء فى الدول غير الإسلامية قد سبقوا فى تلك الدراسة فصنعوا سفن الفضاء وغاصوا فى المحيطات والمسلمون ما زالوا حيارى يقفون على شاطىء هذا البحر العظيم بحر المعرفة وفهم سنن الكون . فهل نحن متعظون ؟ .

## المطلب الثالث

### نظرة الاسلام للحياة

قد يكون لكل انسان فكرته الخاصة عن الحياة التى قد تتفق مع فكرة الإسلام أو تختلف عنها وتقترب منها أو تبتعد عنها ، فمن الناس من يرى الحياة وسيلة وليس فيها سوى التمتع باللذات الحسية ، ولا شىء غيرها فلا تنشغل نفسه إلا بشهوات النفس وملذاتها ومنهم من يرى الحياة فرصة للعبادة والخشوع لله تعالى فلا يترك وقتا إلا اغتنمه فى عبادة ربه والسعى إلى رضوانه ، ومن الناس من لا يكاد يرى غير حياته الدنيا ولا يفكر فى الحياة الاخرى ولا يذكرها إلا قليلا ، بينما قد نجد على النقيض من ذلك من لا تشغله الحياة الدنيا ولا يراها إلا معبراً للحياة الآخرة التى تستغرق نفسه فيها . . فما هى النظرة السديدة للحياة كما يريدها الإسلام ؟ .

إننا إذا تأملنا فى نظرة الإسلام للحياة أو بمعنى آخر نظرنا إلى الحياة فى ضوء الإسلام نجدها تقوم على أربعة أسس هامة هى :—

أولا : إن الحياة ليست حياة واحدة فحسب ، بل يجب التيقن من أن ثمة حياتين : حياتنا الدنيا ثم الحياة الآخرى وان الحياتين متصلتان وممتدتان والاولى غرس للثانية وأساس لها ، وعلى هذا فسعى الإنسان فى الحيـاة الدنيا لا ينبغى أن تتوقف النظرة فيه عند حدود الدنيا فحسب بل يجب أن يذكر عند كل عمـل فيها ما يترتب عليه من آثار باقية فى الحياة الاخرى .

ثانيا : والحياة فى نظر الإسلام ليست حياة تمتع وانتهاب لذات كما تصور بعض مفكرى اليونان وكما يرى أصحاب النظرة المادية فى كل عصر ، وإنما الحياة اختبار وابتلاء من الله ، يبلونا فيها بالخير والشر . والله سبحانه وتعالى يقـول : «كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون (١) . ويقول عز وجل : واعلموا انما أموالكم وأولادكم فتنة وان الله عنده أجـر عظيـم (٢). والمؤمن يكون فيها على حذر دائما ؛ لانه ممتحن فى كل ما يصيبـه ويأتيـه وكل ما يفعل أو يترك ، وهو مسئول عن قوله وفعله ونيتـه أمام رب العالمـين وأحكم الحاكمين الذى يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور صحيح ان الإسـلام لا يحرم زينة الله والطيبات من الرزق ، يقول الله سبحـانه وتعالى : يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشـربوا ولا تسرفـوا إنه لا يحب المسرفين . قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قـل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقـوم يعلمون (٣) وفارق كبير بين عدم تحريم اللباس الطعام وبين تحويلها إلى مجاله .

---

(١) سورة الانبيـاء : آيه : ٣٥ .

(٢) سورة الانفال : آية : ٢٨ ؛

(٣) سورة الأعراف : آية : ٣١ ، ٣٢ .

الشهوة والإسراف روى فى تفسير هاتين الآيتين ان بنى عامر فى أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام إلا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت ( ولا تسرفوا ) بتحريم الحلال والتعدى إلى الحرام وبإفراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان : سرف ومخيلة . « ( قل من حرم زينة الله ) من الثياب وسائر ما يتجمل به ( التى اخرج لعباده ) من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع ( والطيبات من الرزق ) المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الأصل فى المطاعم والملابس وأنواع التجملات الاباحة (١) » .

ثالثا : وإذا تعارضت عند المسلم مصلحة دنياه مع صالح الآخرة فإن الآخرة هى الأولى باعتبار دون تذبذب أو تردد يقول الحق سبحانه وتعالى : قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين (٢) . والرسول ﷺ يقول : من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه وآثروا ما يبقى على ما يفنى (٣) .

ان الإسلام لا يحارب الدنيا ولا يأمر بالانقطاع للآخرة ولكنه لا يقر الانقطاع للحياة الدنيا والاهتمام بها وحدها مع نسيان الآخرة ، ولا يكون

---

( ١ ) تفسير البيضاوى جـ ١ ص : ١٨٩ .

( ١ ) سورة التوبة : آية : ٢٤ .

( ٣ ) سند الامام أحمد بن حنبل جزء ٤ صفحة ١١٢ .

للمؤمن أو المؤمنة أن يأتى فى الدنيا عملا خالصا لها وليس بينه وبين الاخرة وشيجة أو صلة ، وأخيرا فإذا تعارضت المصلحتان : مصلحة المرء فى الدنيا ومصلحته فى الآخرة فلا ريب ان الآخرة هى الأولى بالتفضيل والإيثار . . .

يقول الله تعالى : من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون . أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون (١) ۵ قال قتادة : من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته فى الدنيا ثم يفضى إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء وأما المؤمن فيجازى بحسناته فى الدنيا ويثاب عليها فى الآخرة .

قال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية ان أهل الرياء يعطون بحسناتهم فى الدنيا وذلك أنهم لا يظلمون نقيرا ، يقول من عمل صالحا التماس الدنيا صوما أو صلاة أو تهجدا بالليل لا يعمله إلا ابتغاء الدنيا يقول الله تعالى : أوفيه الذى التمس فى الدنيا من المثابة وحبط عمله الذى كان يعمله لالتماس الدنيا وهو فى الآخرة من الخاسرين . وهكذا روى عن مجاهد والضحاك وغير واحد ، وقال أنس بن مالك والحسن : نزلت فى اليهود والنصارى ، وقال مجاهد وغيره : نزلت فى أهل الرياء .

ويقول الله تعالى : من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا . ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا . كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا . أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة

---

(١) سورة هود : آية : ١٥ ، ١٦ .

أكبر درجات وأكبر تفضيلا (١) . وقال تعالى : من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب (٢) .

رابعا : التوازن بين المادة والروح : ان نظرة الإسلام إلى الحياة الدنيا نظرة حكيمة تقوم على التوازن بين المادة والروح وبين رغبات الجسد وتزكية النفس وبين الغريزة والعقل والإسلام بذلك قد حقق الغاية ووضع السبيل المستقيم فى منهجه هذا فى الوسطية بين منهجين تعرفها الحياة ويعرفها اتباع الديانات التى جاءت قبل الإسلام خاصة اليهودية والنصرانية ، فليس فى الإسلام ذلك التمسك الشديد بالحياة الذى عرفه اليهود منذ عهد موسى عليه الصلاة والسلام ( ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ) وليس فيه كذلك الرهبانية التى ابتدعها أتباع الديانة المسيحية ، فلا رهبانية فى الإسلام فالرسول عليه الصلاة والسلام هو الأسوة الحسنة لكل المسلمين كان يصوم ويفطر ويقوم ويرقد ويتزوج النساء ولا يقر الإسلام كلا المنهجين : فلا أفراط ولا تفريط فى النظرة إلى الحياة وبذلك فهو لا يقر التشدد والغلو فى أى أمر من أمور الحياة .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه : جاء ثلاثة نفر إلى بيوت أزواج النبى يسألون عن عبادته ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها ( بدت قليلة فى نظرهم ) فقالوا وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم أما أنا فأنا أصلى الليل ابدا وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر :

---

( ١ ) سورة الاسراء : آيات : ١٩ — ٢١ .
( ٢ ) سورة الشورى : آية : ٢٠ . راجع تفسير القرآن العظيم لابن كثير الجزء ٢ صفحة : ٤٣٩ .

أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ اما والله انى لاخشاكم لله وأتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى (١) .

---

(١) فتح البارى للامام الحافظ أحمد بن حجر العسقلانى الجزء : ٩ ص ١٠٤

# الفصل الرابع

## العقيدة الاسلامية

تمهيـــد :

الإسلام دين يشمل العقيدة والشريعة أى الاعتقاد والسلوك أو الإيمـــان والعمل ، وأصل العقيدة مشتق من الاعتقاد تقول أعتقد كذا إذا أيقنه وصدق به.

وبين العقيدة والشريعة أو بين الاعتقاد والسلوك علاقة وثيقة فالتصرفات والأعمال يجب أن تتم وفق أحكام الشريعة مع سلامة الإعتقاد سواء فى المعاملات أو العبادات أو الاخلاق .

بل إن تلك التصرفات والأعمال لا تجزى عن فاعلها ولا وزن لها إذا كانت مجردة عن الاعتقاد الذى يتمثل فى النية التى تمثل الباعث الدافع للاقـــدام على إيتيانها .

تقسـيم :

وسوف نقسم الكلام فى هذا الفصل عن العقيدة الإسلامية إلى ثلاثة مباحث كما يلى :ـــ

المبحث الأول : عن العقيدة والحياة .

المبحث الثانى : عن العقيدة والإنسان .

المبحث الثالث : عن خصائص العقيدة .

وفيما يلى تفصيل ذلك .

# المبحث الاول

## العقيدة والحيـاة

ان المجتمع بغير عقيدة تغدو الحياة فيه حياة تماثل حياة الجاهليه الأولى مهابلغ من الرقى الحضارى، فتكون الأفضلية للأقوى والفوز للأشد وليس للأفضل ولا للاتقى أو صاحب الحق ، وتغدو الحياة ولا تتجاوز حياة الأنعام بل قد تكون أسوأ منها وأضل سبيلا وإن زخرت بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم لان الغـايات فى ذلك المجتمع لا تتجاوز اتباع الشهوات والأهواء والعلم المادى وان اتسع مجاله وتعددت ميادينه لا يكفى وحده لكى يحقق الطمأنينة والسعـادة فى الحيـاة لأنه يهتم بالجوانب الحضارية فى حياة الامة ويعنى بالنواحى المادية فى حيـاة النـاس كالنواحى الهندسية والطبية والزراعية والصناعية والتجارية وغيرها ولكن كم من مريض يحار الاطباء فى مرضه ولا يصلون إلى تشخيصه أو علاجـه لأن المرض فى القلب والنفس ، انه ليس مرض الجسم بل هـو مرض الروح ، وان للنفس أثر ملموسا فى الجسم وما يعتريه من أمراض وهكذا خلت الحياة العصرية ، رغم تقدمها العلمى والحضارى ، من مظاهر السعادة والطمأنينة وعزت فيهـا القيم الخلقية الرفيعة والاخلاق السامية التى ترفع من قيمة الإنسان وتجعـله يشعر بإنسانيته و قيمته وبكرامته .

ومع هذا فلا يستطيع أحد القول أن العقيدة الإسلامية يقتصر أثرها على الجوانب المعنوية والروحية فى حياة الإنسان فحسب بل ان أثرها يشمل كذلك نواحى الحياة المادية لانها عقيدة تتسع الروح والمادة وللحق والقـوة وللدين والعلم ، وللدنيا والآخرة انها عقيدة التوحيد التى تغرس فى النفس الكرامـة

والحرية وتجعل الخضوع لغير الله شركا ونفاقا وتأبى على الناس أن يتخذ بعضهم بعضاً أربابا من دون الله تعالى .

وأثر العقيدة فى الحياة الإنسانية قديم قدم الحياة نفسها ، وكم كان لها من أثر فى انتصار أمم وهلاك أخرى ، تأمل قول الله سبحانه وتعالى :

ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقـدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء (١) أى لما واجه حزب العقيدة والإيمان وهم قليل عدوهم أصحاب جالوت وهم عدد كثير ( قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا ) أى انزل علينا صبراً من عندك ( وثبت أقدامنا ) أى فى لقاء الأعداء وجنبنا الفرار والعجز ( وانصرنا على القوم الكافرين ) . قال الله تعـالى : ( فهزموهم بإذن الله ) أى غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم وقتل داود جالوت (٢) فعقيدة الإيمان هى التى نصرت داود وجنوده على جالوت وجنوده الكثيرين وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله .

ثم أنظر أثر العقيدة فى حياة الأنبياء والرسل جميعاً ومن آمن معهم وكم كان لها من أثر فى التمسك بالإيمان والثبات على الحق فى مواجهة باطـل الكفار والمشركين .

فكم لقى الذين آمنوا وصدقوا برسل الله من اضطهاد وظلم المكذبين المستكبرين وكم أوذوا فى سبيل عقيدتهم فما يئسوا من روح الله وما رجعوا عن

---

( ١ ) سورة البقرة : آية : ٢٥٠ ، ٢٥١ .

( ٢ ) تفسير القرآن العظيم لابن كثير جزء : ١ صفحة : ٣٠٢ .

بعقيدتهم الصحيحة ولا حادوا عنها وإنما زادهم التنكيل والتعذيب استمساكا بعقيدتهم وصبروا وصابروا حتى جاءهم نصر الله ، وبفضل هذا الثبات على العقيدة انتشرت الأديان فقد صبر بنو إسرائيل على إيذاء فرعون وقومه وصبر النصارى فى أول العهد بالنصرانية على تعذيب أباطرة الرومان وقتلهم ، وصبر اتباع محمد ﷺ فى أول العهد بالإسلام فى مكة على أذى الكفار والمشركين .

وأى أمة تعيش اليوم بغير العقيدة تعمر قلوب أبنائها يصيبها الوهن والضعف وتتعرض للضياع ، فالعقيدة بمثابة الروح التى تعطى للحياة القوة والعزيمة

**العقيدة والواقع الانسانى :**

والعقيدة ليست شيئا منقطع الصلة بحياة الناس وبمعيشتهم ، وليست ضربا من المثل المجردة التى يسمع عنها المرء ولا يتعامل بها ولا تتصل بمنهجه وسلوكه بل إنها تتصل بواقع الحياة الإنسانية أعمق اتصال فهى أساس فى السلوك الاخلاقى وفى علاقات الاسرة وفى المعاملات بين الناس .

أ ) — فى مجال السلوك الأخلاقى يظهر أثر العقيدة فى تكوين الضمير لدى الفرد وفى تربيته وتقويته ، والضمير هو المحاسب الأول للانسان وهو المهيمن على سلوكه . يقول الحسن البصرى فى معنى قوله تعالى : « ولا أقسم بالنفس اللوامة » ولا يلقى المؤمن الا يعاتب نفسه : ما أردت بكلمتى ؟ وما أردت بأكلتى ؟ وماذا أردت بشربتى ؟ والعاجر يمضى قدما لا يعاتب نفسه . وقال أيضاً : المؤمن قوام على نفسه محاسبها لله وانما خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم فى الدنيا . وانما الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا الأمر من غير محاسبة ولولا الضمير الاخلاقى الذى يغرسه وتحرسه العقيدة لعمت الفوضى ولضاعت الحقوق وانتهكت الاعراض .

ب ) — وفى العلاقات الأسرية : نلمس أثر العقيدة واضحا فى سلوك كل فرد من أفرادها ، فالاب يتحرى الكسب الحلال لزوجته ولاولاده لان عقيدته تحول بينه وبين أن يطعمهم حراما ، والعقيدة هى التى تجعل الزوجة ترعى الله فى مال زوجها وعرضه ورعاية بيتها والعقيدة هى التى تنبعث عنها مشاعر الحب والإيثار والإحترام بين أفراد الاسرة بعضهم وبعض فيحنو الكبير على الصغير ويوقر الصغير الكبير وتسود الجميع مظاهر الالفة والتفاهم .

ج ) — وللعقيدة فى واقع معاملات الناس أثرها البارز الملموس فأمانة التاجر وتجنبه الغش ورعاية حق الاجير لدى رب العمل ، ورعاية حق رب العمل المخلص ، وحفظ الامانات لدى أربابها والحكم بين الناس بالعدل ، كل ذلك من أثر العقيدة فى النفوس . والعقيدة هى التى تدفع إلى إعانة الملهوف ومعاونة ذى الحاجة والتجاوز عن الخطأ والعفو عن المسىء ونصرة المظلوم .

**العقيدة ومصير الامم :**

من أراد أن يعرف أثر العقيدة فى حياة الامم فليتأمل حالتين: حالة العرب قبل الإسلام وكيف كانت حياتهم وانشغالهم ومحاربة بعضهم البعض وقلة بأسهم على من جاورهم من الامم ، وتفرق كلمتهم فلا يخضعون لحكومة واحـــدة ولا يجتمعون معا لامر واحد ، ثم لينظر كيف فعلت بهم عقيدة الإســـلام ، حيث الفت بين قلوبهم وجمعت بينهم ونظمت معيشتهم وعدلت منهجهم فى الحيـــاة ثم لنتأمل حالة جيران العرب من الفرس والروم وكيف كان عندهم الثراء والقـوة والسلطان فإذا لأمة قليلة العدد ضئيلة العدة من العرب عرضنا حالتها قبـــل الإسلام آنفا ، ليسوا من أصحاب فلسفة اليونان ، ولا يعرفون مدنية وحضارة الرومان وليس لديهم ما لدى الفرس والروم من جيوش وأموال وسكان ،

يغزون كل جيرانهم ويغلبون جيوش كسرى وقيصر ، ثم لا يلبثون أن يصلوا بالإسلام إلى شاطىء المحيط الأطلسى فى الغرب وإلى الهند فى الشـــرق أوليست العقيدة وحدها هى السر فى كل هذا التحول العظيم الذى أحيا أمة لم يكن لها حظ من الذكر وقضى على أمم كانت ملء السمع والبصر ؟ وإذا كان حالنا اليوم قد تغير أمام أمم الأرض فقد كشف الرسول عليه الصلاة والسلام لأمته عن الأسباب العميقة التى تؤدى إلى ضعفها حين تضعف وهو أنها حين تهون على اعدائها فقال وصدق الزمن ما قال عليه الصلاة والسلام : يوشك ان تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الاكلة إلى قصعتها : قالوا أمن قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن فى قلوبكم الوهن ، وقالوا وما الوهن؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت (١) .

**عقيدة التوحيد امام العقائد الباطلة :**

وان الذى نصر المسلمين الاول هو اعتزازهم بعقيدة التوحيد واستهانتهم بالموت للقضاء على العقائد الفاسدة الباطلة ، وهو الذى نصر المسلمين على قلتهم على المشركين والكفار مع كثرتهم ، لان صاحب العقيدة السليمة يقاتل لهدفين لا ثالث لهما . إما النصر وإما الشهادة فى سبيل الله وكلاهما أحب إليه من نفسه التى بين جنبيه وقد وعد الله أصحاب عقيدة الإيمان بالنصر لانهم جنده فقال تعالى : ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وأن جندنا لهم الغالبون (٢) فالمؤمن إذا أخلص لربه أصبح أكثر قوة من الجبال المرساة.

---

( ١ ) — الإيمان والحياة تأليف الدكتور يوسف القرضاوى ص : ٢٧٠.
( ٢ ) سورة الصافات : آيات : ١٧١ — ١٧٣ .

فى الأرض ومن مظاهر هذه القوة شجاعته فى مواطن البأس وثباته فى مواضع الشدة لا تتزلزل له قدم ، ولا يتزعزع له ركن ولا يخشى الناس قلوا أو كثروا ولا من جحافل الأعداء ، فهو لا يخشى إلا الله وإذا قيل له ان أعداءك أكثر عددا تلا قول الله تعالى : كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله(١). وإذا قيل أنهم أكثر مالا ، قرأ عليهم : ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون(٢) وإذا حذروه من مكرهم وكيدهم اجابهم بما قاله الله تعالى : « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين (٣)» .

وإذا قيل أنهم أمنع حصونا قرأ عليهم : وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا (٤) . وإذا حاولوا تخويفه بكثرة الاعداء ؟ تذكر قول الله تعالى : الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم (٥) .

## المبحث الثانى

### العقيدة والانسان

العقيدة الدينية تلبى نزعات طبيعية ثابتة لدى الإنسان ، ومبعث الشعور بالحاجة إليها إنما هو حاجة الإنسان إلى قوة الخالق وقدرته وهذا الشعور من طبائع الإنسان سواء أكان مؤمنا بوجود الله تعالى أو كافرا به ، والدليل على

---

(١) سورة البقرة : آية : ٢٤٩ . (٢) سورة الانفال : آية : ٣٦

(٣) سورة آل عمران : آية : ٥٤ . (٤) سورة الحشر : آية : ٢

(٥) سورة آل عمران : آية : ١٧٣ ، ١٧٤ .

وراجع : الإيمان والحياة تأليف الدكتور يوسف القرضاوى ص : ٢٦٢

فالكفار والمشركين الذى جاءتهم دعوات الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا عاكفين على عبادة أصنام لهم صنعوها وقدسوها ، فلم تكن نفوسهم خالية من العقيدة إذن ، حدث ذلك مع نوح وإبراهيم وموسى ومحمد وغيرهم من الرسل عليهم الصلاة والسلام .

وهكذا فإنه إذا اهتدى الإنسان إلى وجود خالق الكون فإن عقيدته تغدو عقيدة سليمة وإذا ضل طريقه إلى الله زاغ قلبه وفسدت عقيدته وتحول إلى عبادة ضالة قد تتجه إلى الكواكب أو التماثيل أو المادة أو الإنسان . وهذا ما نجده عند الملحدين الذى لا يعرفون الله تعالى فانهم قد حولوا وجهة التدين إلى عبادة المخلوقات عوضا عن عبادة الله وحده أو إلى تقديس المادة والأهواء وما شاكل ذلك ، وهذا التحويل لمسار العقيدة والبعد عن طريق الله تعالى هو فى حقيقته تحول عن الفطرة ويصحبه غالبا اغراق فى الشهوات وانغماس فى اللذات (١) .

ورغم ذلك فقد وجد من ينكر أصالة العقيدة الدينية فى نفس الإنسان وينكر وجود الأديان، مثل فولتير وجان جاك روسو من كتاب القرن الثامن عشر فى فرنسا فأولهما يقول ان الإنسانية لابد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة فى حياة مادية خالصة قوامها الحرث والنحت والبناء والحدادة والتجارة قبل أن تفكر فى مسائل الدينيات والروحانيات والثانى يقول : ان القوانين ليس لها إلا قيمة وضعية تحكمية ، وهذه الآراء تماثل — فى الواقع — آراء السوفسطائيين اليونانيين الذين روجوها قديما وزعموا أن الأصل فى حياة الناس هو الفوضى وسيادة مبدأ القوة . ولقد أعان على بعث هذه الآراء وترويجها فى أوربا الحديثة أسباب ثلاث : —

---

(١) الإسلام صالح لكل زمان ومكان الدكتور عبد العزيز الخياط ص : ١٧

الأول : أخذ أوربا للكثير من الأفكار والآراء عن فلسفة اليونان .

الثانى : ظلم القوانين الوضعية التى ورثتها أوربا عن القانون الرومانى وما وضعه مشرعوهم .

الثالث : الانحلال الخلقى عند نفر من رجال الكنيسة النصرانية على انه لم ينقض القرن الثامن عشر حتى ظهر خطأ هذه المزاعم وشاع فى أوربا أن التدين ظاهرة عامة لم تخل منها أمة من الأمم فى القديم والحديث وان فكرة التدين فى جوهرها ليس هناك دليل واحد على أنها تأخرت عن نشأة الإنسان وقد أكد ذلك المعنى معجم « لاروس » للقرن العشرين إذ جاء فيه :

« إن الغريزة الدينية ، مشتركة بين كل الاجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية . . وإن الإهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية . . وان هذه الغريزة الدينية لا تختفى بل لا تضعف ولا تزول إلا فى فترات الإسراف فى الحضارة وعند عدد قليل من الأفراد (١) .

**الانسان بين الهداية والغواية :**

وكل إنسان مخير بين طريقين أو سبيلين : سبيل الخير وسبيل الشر بين الهداية والغواية ، وقد أعطى الإسلام للإنسان حرية الإرادة بالفعل المميز والسير فى طريق الهدى أو الضلال من غير إجبار ولا إكراه حتى يتحمل مسئولية العمل ، قال تعالى : ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها (٢) » ورتب

---

(١) الدين : بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الاديان : تأليف الدكتور محمد عبد الله دراز ص : ٨١ .    (٢) سورة الشمس : آية : ٧ ، ٨ .

على ذلك الثواب بالفلاح والفوز فى الدنيا والآخرة ان هو اختيار طريق الهداية والخير ، قد أفلح من زكاها ، أو قد ناء بالخسران فى الدنيا وبالعذاب فى الآخرة وبالخيبة فى الدارين ان جاد عن الطريق المستقيم واتبع نفسه هواها : وقد خاب من دساها (١) .

إن الذى يجر الإنسان إلى طريق الغواية هو انسياقه وراء هواه وطغيان غرائزه على عقله ، ولو تأمل فى أمره قليلا لعلم ان طريق الهدى هو أسلم الطرق وأحسنها عاقبة وان اتباع الهوى واتباع الشهوات لا يجلب سعادة ولا يؤدى إلا إلى الكرب والضيق والإنسان حين يظلم قلبه ويضل طريقه يفقد أول ما يفقد إنسانيته فيصبح كالسائمة بل أسوأ سبيلا ، يقول الله سبحانه وتعالى : أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا (٢) . والإنسان إذا ابتعد عن الهداية لا يرى الحق حقاً ولا الباطل باطلا وإنما يرى الباطل حقاً ويرى الحق باطلا لان الله تعالى قد ختم عليه فلا تجدى معه موعظة ولا تنفع له تذكرة ، يقول تعالى : ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون . ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم(٣) وهكذا يغدو البعيدون عن الهدى الذين نكبوا عن الطريق المستقيم أسوأ من الأنعام ، وفيهم قول الله سبحانه وتعالى: ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل — أولئك هم الغافلون (٤) .

---

(١) سورة الشمس : آيات ٦ — ١٠ .
(٢) سورة الفرقان : آية : ٤٤ .
(٣) سورة البقرة : آية : ٦ ، ٧ . (٤) سورة الأعراف : آية : ١٧٩ .

**أثر العقيدة فى طاقات الانسان :**

إن العقيدة الصحيحة ليست مجرد شعور أو إحساس نفسى أو مجرد تصديق قلبى لا يترتب عليه أثر عملى فى الحياة ، كلا : فإنها اعتقاد وعمل وإخلاص ومهما اختلف علماء الكلام والجدل فى العقائد حول مفهوم الإيمان وصلة العمل به فإنهم يتفقون على أن العمل جزء لا يتجزء من الإيمان الكامل . وقد جاء عن رسول الله ﷺ انه قال : ليس الإيمان بالتمنى . . . ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل : وقد ذكر القرآن الكريم الإيمان مقرونا بالعمل فى أكثر من سبعين آية من آياته . ولم يكتف بمجرد العمل ولكنه يطلب عمل الصالحات وهى كلمة جامعة الكلم فى القرآن الكريم تشمل كل ما يصلح به الدنيا والدين ، وما يصلح به الفرد والمجتمع وما تصلح به الحياة الروحية والمادية جميعا (١).

والله تعالى يقول · يعتذرون اليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا ان نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٢) .

وكل عمل الإنسان سيرد إلى عالم الغيب والشهادة .

يقول تعالى : وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون (٣)وقد وعد الله تعالى المؤمن ذا العمل الصالح بالحياة الطيبة وبالأجر الحسن فى الآخرة يقول تعالى : من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن

---

( ١ ) الإيمان والحياة تأليف الدكتور يوسف القرضاوى ص ٢٨٥ .
(٢) سورة التوبة : آية : ٩٤ ، (٣) سورة التوبة : آية : ١٠٥ .

بما كانوا يعملون (١) .

وهذا الاعتقاد فى حسن الجزاء وعظيم الأجر من الله تعالى على كل عمل صالح يقوم به المؤمن ، هو الذى يدفع المؤمنين إلى التسابق فى عمل الصالحات وإلى استباق الخيرات يقول تعالى : « فاستبقوا الخيرات(٢) » ، ويقول عز وجل أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون (٣) والعقيدة الإسلامية النقية هى وحدها التى دفعت المؤمنين إلى الجهاد فى سبيل الله فقد نزلت الدعوة إلى دين الإسلام حتى فتح الله تعالى لهم أقطار الارض ، فاستهانوا بسبب تلك العقيدة بالموت وبالحياة وبذلوا أموالهم وأبناءهم فى سبيل نشر دين الله .

ولا يقف أثر العقيدة عند كونها الطاقة المحركة للعمل عند الإنسان المؤمن بل إن أثرها يمتد كذلك ليشمل إجادة العمل والإحسان فيه لأن المؤمن يعتقد أن الله معه فى كل عمله يسمع ويرى وان من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذره شراً يره والرسول عليه الصلاة والسلام يحث على الإحسان فى العمل فى كل شيء فيقول ان الله تعالى كتب الإحسان على كل شىء ، ويدعوا المسلم إلى أن يتقن عمله سواء كان زارعا أو صانعاً أو تاجراً أو دارساً أو موظفاً فيقول عليه الصلاة والسلام : ان الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه . وإذا كان الدافع إلى العمل فى النظم الوضعية هو قوة السلطة الحاكمة ورقابة الإنسان ، فان ذلك قد دل فى الواقع على ضعف جدواه ، وقلة ثمرته ، لأن أكبر ما يحفز الانسان على العمل ويدفعه إلى الإتقان والإجادة فيه هو أن يكون الباعث على ذلك من أعماق نفسه وليس من رقابة خارجية تفرض عليه لأن تلك

---

(١) سورة النحل : آية : ٩٧ . (٢) سورة البقرة : آية : ١٤٨ .
(٣) سورة المؤمنون : آية : ٦١ .

الرقابة إن وصلت إلى تحقيق القيام بالعمل فإنها لا يتسنى لها أن تصل إلى تحقيق الإخلاص فيه ، وكم من عامل يؤدى عمله ارضاء لصاحب العمل أو خوفا من رئيسه ولكنه لا يخلص فيما يعمل . . . فما قيمة عمله إذن ؟ . . . ولنا أن نتصور حال الأطباء والقضاة والمدرسين والعمال إذا أدوا أعمالهم بغير إخلاص فكيف تكون أعمالهم وكيف توزن وتقارن بأعمال تتم بنية الاحسان والإخلاص ؟ .

إن أحسن ما تقدمه العقيدة هى ذلك الاخلاص فى العمل الذى يجعل كل من يعمل عملا يراقب الله فيه ولا يرجو غير وجهه تعالى .

**انسان العقيدة :**

إذا غمرت العقيدة الإسلامية الصحيحة قلب إنسان فإن آثارها تظهر فى كل جوانب شخصيته وسلوكه وفى أقواله وأفعاله وأهم تلك الآثار ما يلى :

أولا : وحدة الهدف : تبدو الحياة لصاحب العقيدة واضحة المعالم محددة الهدف ، فهو يعرف هدفه الذى يسعى إليه ، والذى يتمثل فى السعى إلى رضوان الله تعالى ، وعلى نقيض ذلك يغدو من لا عقيدة لديه مضطرب الحياة مشتت النفس مضيع الهدف .

ثانيا : قوة العزيمة : وان وجود الإيمان القوى مع العقيدة السليمة ومع وضوح الهدف فى الحياة يعطى المرء عزيمة قوية ، ويجعل طاقته كلها تتجه فى طريق واحد هو الطريق المستقيم ، ولا تتشعب به المسالك . أما من تفسير عقيدته فتتبدد طاقته سدى . وهذه العزيمة القوية التى يكتسبها صاحب العقيدة تجعله يخطو فى حياته غير هياب ولا متردد إذا عزم على أمر توكل على الله وامضاه وإذا ظهر أمامه أمران اختار أقربهما إلى الله تعالى دون تردد أو ارتياب .

ثالثا : الفلاح والتوفيق : وصاحب العقيدة يصاحبه الفلاح والتوفيق فى كل أمور حياته فذلك وعد من رب العالمين وهو الذى يقول «قد أفلح المؤمنون»(١) ويقول سبحانه وتعالى « والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم (٢) وليس المقصود بالفلاح والتوفيق الكسب الدنيوى وتيسير أسباب العيش فحسب كما يتصور غالبية الناس وإنما المقصود بالفلاح عدم الجنوح إلى الخطأ وسلامة التصرفات وحسن الخلق والاستقامة وطهارة البدن واللسان والإستمساك بالشرف ولئن أصابته مع ذلك كله شدة أو ضائقة قابلها بالصبر الجميل فكان من الفالحين وفى ذلك يقول عليه الصلاة والسلام : عجبا لأمر المؤمن ، ان أمره كله خير وليس ذلك إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له (٣) .

رابعا : الشجاعة : وإنسان العقيدة شجاع جرىء فى الحق لا يخشى فيه لومة لائم ، وهو شجاع لأنه يخشى الله ومن يخشى الله لا يخشى سواه ، يقول تعالى : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين (٤) والذين يملأ الهلع قلوبهم ويسيطر الخوف على نفوسهم ، هم أولئك الذين لا يرجون الا الدنيا ولا يشغلهم سوى متاعها ثم هم لضعف عقيدتهم ونقص إيمانهم يعتقدون أن أمثالهم من البشر ينفعون ويضرون وان الحذر والحرص قد ينجى من قدر الله ، أما صاحب العقيدة فلا يتملق ولا يداهن كما يفعل المنافقون .

---

(١) سورة المؤمنون : آية : ١ . (١) سورة محمد : آية : ٢ .

(٣) أخرجه مسلم كتاب الزهد باب ٦٤ . (٤) سورة التوبة : آية : ١٨ .

خامسا : عزة النفس : وصاحب العقيدة يهبه الله الكرامة وعزة النفس فهو صاحب مبدأ لا يحيد عنه ، وفى سبيل هذا المبدأ تهون عنده الدنيا بل وتهون حياته ، فهو يفضل الموت على العار والسوء وينأى بنفسه دائما بعيداً عن الدنايا والدنس ، وقد صدق الحق سبحانه وتعالى إذ جعل العزة للمؤمنين من عباده فيقول تعالى : . . . ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون (١) .

## المبحث الثالث

### خصائص العقيدة وآثارها

**أولا : محاربة الشر :**

نفس الإنسان بطبيعتها تميل للشر والسوء إلا من رحم الله من عباده وهم قليل يقول تعالى : « وما ابرىء نفسى ان النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربى ان ربى غفور رحيم ولو ترك الإنسان وغرائزه دون ضابط أو رقيب ودون عقيدة تقومه وتصلحه لانفلت فى حياته لا يلوى على شىء ولا يرتدع عن شىء تدفعه غريزة الأنانية أو حب الذات وهى غريزة عاتية جبارة لا يكاد يخلو بشر من سلطانها عليه وقوة دفعها له وتوجيهها لسلوكه واننا لنرى الناس تدفعهم الأنانية إلى التنافس على الدنيا ومتاعها ويدفعهم التنافس إلى التنازع والإختصام ويدفعهم ذلك إلى ادعاء ما ليس لهم وجحود ما عليهم من حق وأكل أموال الناس بالباطل وعندما يطل شيطان الخصومة برأسه لا يكون إلا حب الغلب بأى ثمن

(١) سورة المنافقون : آية : ٨ .  (٢) سورة يوسف : آية : ٥٣ .

وأية وسيله . ولكن وجود العقيدة هو الذى يطفىء لهب الخصومة ويحطم طغيان الأنانية فتصير تسامحا وإيثارا يسموا بالمؤمن من المتاع الأدنى إلى المثل الأعلى. ونفس الأمر مع شهوة الجنس وشهوة البطن ، فمن تغلبت عليه هاتان الشهوتان أصبح كالبهيمة التى لا تعقل بل كان أضل سبيلا (١) فوقع فى الفواحش ولم يبال بما يقذف فى جوفه من أين اكتسبه ولا كيف يستحله ، ولكن العقيدة تحول دون ذلك كله فيما يمكن للمرء أن يحصن الفرج فإن رزقه الله حلالا قنع ولم يتجاوزه بالعدوان على أعراض لا تحل له وإذا لم يكن يجد ما يعف به نفسه فإنه يستعفف حتى يغنيه الله من فضله ، قال تعالى : وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله (٢) .

**ثانيا : القصد والاعتدال فى منهج العقيدة :**

يقسم منهج العقيدة الإسلامية بين عقائد الديانات جميعا بالقصد والإعتدال فقد جاءت الشريعة الإسلامية بعد ديانتين سماويتين جنح بهما اتباعهما ومالوا بالعقيدة فيهما ميلا عظيما عن الجادة وهما الديانة اليهودية والديانة النصرانية .

فاليهودية : أضاعت الصبغه المثالية للعقيدة ، سواء بالنسبة لذات الله تعالى أو بالنسبة لأنبيائهم ، فقد أخلوا بما ينبغى لذات الله تعالى من الوقار وجعلوا

---

(١) فمن المعروف ان البهائم لا يعرف أغلبها اللقاء الجنسى إلا للتناسل ، وبهذا فهى لا تأتيه لذاته وكذلك يشاهد أغلبها لا ينال من المأكل والمشرب إلا حاجته فحسب ، ولا تتعدد صنوفها كثيرا . وهذا بخلاف الإنسان ، فإنه كثيراً ما يجعل ذلك غايات لا وسائل ، يوقف عليها جهده بل وحياته .

(٢) سورة النور : آية : ٣٣ .

له من الصفات مالا يليق بجلاله ، وألصقوا بأنبيائهم من النعوت والأوصاف مالا يجوز فى حق الأفراد العاديين الصالحين من البشر حتى رموا بعضهم بارتكاب فاحشة الزنا وبشرب الخمر ، ولم يسلم من إفترائهم المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام فرموه وأمه بما يعف القلم عن الإشارة إليـــه . . ثم غالوا فى التجسيم والكفر بالله حين قالوا ان عزيرا هو ابن الله سبحانه وتعالى . . . الله عما يقولون علوا كبيرا . . .

وأما النصرانية فقد غالى أتباعها كذلك فى عقيدتهم وكفر من النصارى من قال ان المسيح هو ابن الله أو أن الله هو المسيح ، فبينما حط اليهود من قدر أنبيائهم إذ بالمسيحيين يؤلهون نبيهم ولا يعدونه من البشر . وقد جاءت عقيدة الإسلام بالمنهج المعتدل بعد كل هذا الجنوح الشديد وأرست للاعتـــدال ركائز يقوم عليها اعتبرت من أصول العقيدة ومن صلب الإسلام وأركانه .

فعقيدة التوحيد فى الأسلام تقوم على قاعدة : أن لا إله إلا الله الها واحدا وقد جمعت أركانه سورة الاخلاص . يقول تعالى : قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، فهى تجعله الله الها واحدا وتنفى عنه أن يكون له أب أو ابن أو أن يماثله ويساويه أحد ، وهذا هو التوحيد الخالص لله تعالى . .

ونبى الإسلام قد حدد للمسلمين مالا ينبغى تجاوزه فى مجال العقيدة بالنسبة إليه فمنع الغلو فى اطرائه فقال : لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح أى لا تعظمونى وبلغ من تواضعه لربه انه لما صفع الأنصارى يهوديا كان قد زعم ان موسى عليه الصلاة والسلام أفضل من رسول الله ﷺ ، قال عليه الصلاة والسلام

لا تفضلونى على موسى بن عمران . بل بلغ من شدة تواضعه ﷺ انه كان يأبى أن يعظم بين أفراد أمته كما كانت تعظم الملوك فقد ورد انه ﷺ دخل السوق فأكب عليه أحد التجار وجعل يقبل يديه ويعظمه وقد ملىء رعبا وهيبة من رسول الله ﷺ فقال له : هون عليك فلست بملك ولكننى ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد (١) .

**العقيدة دعوة للاخوة والتراحم :**

لولا العقيدة وتأثيرها فى نفس الإنسان بما تمليه عليه من إتباع سبل الله تعالى وأحكام دينه ما كان ليرتدع أو يرعوى بل هو لن يرى الشر شرا بل سوف يرى كل ما يحقق النفع له خيرا ولو الحق الأذى بغيره وأضر به فى سبيل تحقيق مآربه ثم ان متاع الدنيا وزخرفها يغرى النفوس بالشهوات الجامحة فما لم يكن لتلك النفوس حارس يمسك بزمامها انهارت القيم وانحط السلوك .

ان الغلو فى حب الدنيا هو رأس كل خطيئة ، والتنافس الشديد عليها مبعث كثير من البلايا ، ومن أجل متاع الدنيا وشهواتها قد يقتل الأخ أخاه ويبيع الابن أباه ويخون الناس الأمانات وينكثون العهود ويجحدون الحقوق وينسون الواجبات ويتنكرون للرحم والقرابات .

وتجىء العقيدة الإسلامية النقية فتعالج ذلك كله ، وتحيى فى نفس الإنسان القيم التى تصونه وتهذب خلقه وتلجم نزعات الشيطان وتحول بينها وبين الانطلاق .

---

(١) أخرجه ابن ماجه : باب رقم ٣٠ .

فأول ما تفعله العقيدة ان تغرس فى نفس المؤمن بها حقوقا مقدسة لا يجوز المساس بها لمن يتصلون بالمرء بقرابة أو يخالطونه بمعاشرة أو جوار أو حتى لقاء عابر فيقول الحق سبحانه وتعالى :

« واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا [١] .

فتأمل الامر بالاحسان هنا وتدبر من يشمله : انه يشمل الوالدين والاقارب ، ويشمل اليتامى والمساكين ، ثم يشمل الجار القريب ، والجار الغريب أو غير ذى القرابة ، وعنه عليه الصلاة والسلام : الجيران ثلاثة فجار له ثلاثة حقوق : حق الجوار وحق القرابة وحق الإسلام وجار له حقان : حق الجوار وحق الإسلام وجار له حق واحد : حق الجوار وهو المشرك من أهل الكتاب كما جاء الأمر من الله تعالى بالاحسان إلى الصاحب بالجنب وهو الرفيق أو الزميل فى أمر حسن كتعلم وتصرف وصناعة وسفر فإنه صحبك وصار بجنبك وقيل المرأة ( الزوجة ) . ثم ابن السبيل : وهو المسافر أو الضيف وأخيرا من يكون تحت يد المسلم من الاماء ( الرقيق ) . ثم انظر إلى ما ختمت به الآية من أن الله تعالى لا يحب من كان مختالا أى متكبرا يأنف عن اقاربه وجيرانه واصحابه ولا يلتفت إليهم ولا يتواضع لهم ... فهو يتفاخر ويتباهى عليهم [٢] .

---

( ١ ) سورة النساء : آية : ٣٦ .
( ٢ ) تفسير القرآن الكريم للبيضاوى ﺟ ١ ص : ١١٧ .

وليس ذلك فحسب بل ان العقيدة السمحة تدعو المؤمن إلى حب النـــاس جميعا ، لأنهم اخوته فى الآدمية وشركاؤه فى العبودية لله ، جمــع بينه وبينهم رحم ونسب كما جمع بينهم هدف مشترك وعدو مشترك .

أما الرحم العامة الواحدة فقد قال فيها الله تعالى : يا أيهـــا الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام . ان الله كان عليكم رقيبـا (١) .

وأما الهدف المشترك والعدو المشترك فهو تجنب غرور الحياة ومعاداة الشيطان الرجيم وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعـالى :

يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيـا ولا يغرنـكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (٢) . وعقيدة المسلم لا تسمح بنزعات عنصرية ونعرات جنسية فالناس جميعا لآدام وآدم من تراب (٣) والرسول عليه الصلاة والسلام يدعو إلى الرفق فى معاملة المؤمنين وإلى إشاعة التراحم والتآلف بينهم فيقول عليه الصـلاة والسلام : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه . ( حديث متفق عليه ) وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا

---

(١) سورة النساء : آية ١ .
(٢) سورة فاطر : آية : ٥ .
(٣) الإيمان والحياة للدكتور يوسف القرضاوى ص : ١٦٢ .

اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى (حديث متفـق عليـه)
وقال عليه الصلاة والسلام : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » (متفق عليه).

وعن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنـه بهـا كربة من كرب يوم القيـامة ، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة (متفق عليه) (٤).

---

(٤) رياض الصالحين للامام النووى (دار الفكر) ص ٧٩ .

# الفصل الخامس

## العبادة وأثرها فى الانسان

نجعل الكلام فى موضوع العبادة وبيان أثرها فى حياة الإنسان فى مطلبين :

المطلب الأول : عن مفهوم العبادة وبيان حقيقتها ووظيفتها ثم بيان أنواعها .

والمطلب الثانى : عن العبادة وآثارها الخلقية والنفسية فى الفرد والمجتمع .

## المطلب الاول

### مفهوم العبادة

ينقسم الكلام فى هذا المطلب عن مفهوم العبادة إلى فرعين :

الفرع الأول : عن مفهوم العبادة وحقيقتها ووظيفتها .

والفرع الثانى : عن أنواع العبادة .

## الفرع الاول

### العبادة وحقيقتها ووظيفتها

معنى العبادة لغة : العبادة تعنى الطاعة والتعبد وتعنى التنسك ، ومعنى العبودية : الخضوع والذل ويقال عبد الطاغوت أى خضع له ، وقول الله تعالى: فادخلى فى عبادى : أى أدخلى فى حزبى . وفى معانى العبادة والعبودية ما يستحق التدبر ، فهى لغة تعنى عدم الحرية ، فالعبد ضد الحر وجمعه عبيد واعبد وعباد

وعبدان ( بالضم والكسر ) . . . وهذا يعنى أن العبودية لله تعالى تقتضى ألا يكون العبد حرا ، يفعل ما يشاء بل يتعين عليه أن يفعل ما يريد ربه وألا يعمل مالا يرضيه ولذلك فمن تمام العبودية أن يبيع المرء نفسه لله تعالى . . . وأن يقصر الإخلاص فى الطاعة له وحده . . . وألا يكون ولاؤه لأحد غيره .

أما فى الاصطلاح فالعبادة هى : الخضوع لله تعالى والانقياد لشريعته التى جاء بها رسوله ﷺ .

ويعرفها الامام ابن تيمية بانها : اسم جامع لكل ما يحبه ويرضاه من الاقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث واداء الأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجهاد الكفار والمنافقين ، والاحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والانابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه ، والشكر لنعمة والرضى بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه . . وأمثال ذلك ، هى من العبادة لله .

وذلك أن العبادة لله هى الغاية المحبوبة له والمرضية له التى خلق الخلق لها ، كما قال الله تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . وبها أرسل جميع الرسل ، كما قال نوح لقومه أعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، وكذلك قال هود وصالح وشعيب وغيرهم لقومهم وقال تعالى : ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة (١) وقال تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى إليه انه

---

(١) سورة النحل : آية : ٣٦ .

لا إله إلا أنا فاعبدون وقال تعالى : ان هذه أمتكم أمة واحـــدة وأنا ربكم فاعبدون (١) وجعل ذلك لازما لرسوله عليه الصلاة والسلام إلى الموت كما قال سبحانه وتعالى : واعبد ربك حتى يأتيك اليقين (٢) .

**العبادة ووظيفتها :**

التدين والعبودية حاجة نفسية ، وهما يضعان النفس على الطريق الصحيح فى الحياة وبدونهما تنزل النفس إلى اسار عبودية مدمرة للطاغوت والشيطان وشهوات النفس والمتكبرين فى الأرض بغير الحق ، فالعبودية لله تعالى خضوع يسمو بالنفس ويرتفع بها عن آفاق الضياع والضلال ثم ان العبادة هى وظيفة الإنسان التى من أجلها خلقه الله تعالى فان الله لم يخلق الإنسان عبثا وإنما خلقه الله تعالى ، لعبادته سبحانه وتعالى والدليل هو قوله تعالى : وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين (٣) فالله سبحانه وتعالى قد خلق الجن والإنس من أجل أن يعبدوه وحده ، وهو الغنى عن عباده جميعا ، فلا يريد منهم رزقا ولا اطعاما لأنه هو وحده الرزاق القوى المتين ، الذى لا رزق لمخلوق إلا من عنده ، والله يرزق عباده من السماء والأرض سبحانه وتعالى وهو على كل شىء قدير (٤)

فالعبادة هى أصل كل عمل فى الكون كله وغايته ، يقوم بها كل ما خلق الله

---

(١) سورة الأنبياء : آية : ٢٥ وآية : ٩٢ .

(٢) سورة الحجر : آية : ٩٩ .

راجع : العبودية للامام ابن تيمية ( المكتب الإسلامى ) ص : ٣٨ .

(٣) سورة الذاريات : آيات : ٥٦ — ٥٨ .

(٤) دين الحق : تأليف عبد الرحمن بن حماد آل عمر ص : ١١ .

وبوديها فى كافة خلقه ، طوعا وكرها ، كما يقول تعالى : ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها ، كما يقول تعالى : ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته (١) . . وتسبيح الله تعالى هو من العبادة والله تعالى المستحق وحده للعبادة وللتسبيح والحمد والثناء ، يسبح كل من فى السموات والارض بحمده ، وان من شيء خلقه الله تعالى إلا ويسبح له كما قال سبحانه وتعالى :

* سبح لله ما فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم (٢) .

* تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا (٣) يقول الله تعالى :

* ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون (٤) وخضوع الإنسان لله تعالى هو حقيقة قائمة حتى لدى المنكرين لها ، فالجاحد والكافر خاضع لمشيئة الله تعالى وآية ذلك انه لو شاء لهداه يقول تعالى : . . . أفلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا (٥) .

وسبحانه وتعالى فهو الذى يقول : انى توكلت على الله ربى وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم (٦) .

---

(١) سورة الرعد : آية : ١٥ .
(٢) سورة الحديد : آية : ١ .
(٣) سورة الإسراء : آية ٤٤ .
(٤) سورة النور : آيه : ٤١ .
(٥) سورة الرعد : من آية ٣١ .
(٦) سورة هود : آية : ٥٦ .

ونحن حين نسلم بأن الإنسان خاضع لله تعالى ذلك الخضوع التام الشامل فإنه ينبغي أن ندرك انه خضوع يخلق الشعور بالطمأنينة وراحة البال وإنه ليس ذلك الخضوع الذي يخلق اليأس ويكبت النفس ويحد مجـال العمل ويسد باب الأمل ، بل هو شعور يفتح أمام القلب آفاق الحيـاة الآمنة ويضع عن النفس الاثقال ويحطم مما حولها من الأغلال (١) .

حقيقة العبادة :

وحقيقة العبادة وجوهرها هو الانقياد لكل ما جاء به الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام . يقول تعالى : انما كان قول المؤمنين إذا دعـوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا : سمعنا وأطعنا وأولئـك هم المفلحون . ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقه فأولئك هم الفائزون (٢).

والعبادة تعني التوجه إلى الله تعالى مع الاعتقاد الجازم بأنه سبحانه وتعالى رب كل شيء ومليكه وخالقه وانه هو وحده الذي يستحق ان يفرد بالعبادة من صلاة وصوم ودعاء ورجاء وخوف وذل وخضوع وانه وحده المتصف بصفات الكمال والمنزه عن كل نقص ... ثم التسليم بأن محمدا ﷺ هو عبد الله ورسوله وهو خاتم النبيين واطاعة الرسول في كل ما أمر به أو نهى عنه ، وذلك لقوله سبحانه وتعالى : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا (٣) وقـوله عز وجل : قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم (٤)

---

(١) الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ، طبعة ١٩٦٩ صفحة : ٤٦ .

(٢) سورة النور : آية : ٥١ ، ٥٢ .

(٣) سورة الحشر : آية : ٧ .

(٤) سورة آل عمران : آية : ٣١ .

وتقتضى العبادة إخلاص العبودية لله تعالى وحده فلا يؤثر العابد عليه غيره فى الحب ولا يشرك معه أحدا فى الخوف أو الرجاء أو الدعاء .

ولا يكفى أن يعبد الإنسان ربه لكى تصح العبادة بل يلزم أن يعبده ولا يعبد معه غيره ، فقد يعبد الإنسان هواه ، وقد يعبد الشيطان ، وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

ألم أعهد إليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن أعبدونى هذا صراط مستقيم (١) .

* أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا (٢) .

* أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم (٣) .

والعبادة فى الحقيقة ليست خضوعا فحسب بل هى خضوع وحب : يقول الامام ابن تيمية رحمه الله :

والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب ، فهى تتضمن غاية الذل لله تعالى بغاية المحبة له ، فان آخر مراتب الحب هو التتيم وأوله العلاقة لتعلق القلب بالمحبوب ثم الصبابة لانصباب القلب إليه ثم الغرام وهو الحب الملازم للقلب ثم العشق وآخرها التتيم يقال : تيم الله أى عبد الله فالمتيم : المعبد لمحبوبه ، ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابدا له ولو أحب شيئا ولم يخضع له لم يكن عابدا له كما قد يحب الرجل ولده ، ولهذا يجب أن يكون الله أحب إلى

---

(١) سورة يس : آية : ٦٠ ، ٦١ .
(٢) سورة الفرقان : آية : ٤٣ .
(٣) سورة الجاثية : آية : ٢٣ .

العبد من كل شيء وان يكون الله عنده أعظم من كل شيء ، بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله وكل ما احب لغير الله فمحبته فاسدة وما عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل : قال تعالى : قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين (١)

# الفـرع الثـانى

## انواع العبـادة

تنقسم العبادة إلى ثلاثة أنواع :

أ — عبادة نفسية .

ب — عبادة بدنية .

جـ — عبادة مالية .

**أولا : العبادة النفسيه :**

وتتمثل فى النية العامة فى كل عمل او فعل يقوم به الإنسان ، بأن يبتغى به وجه الله ويتوجه اليه به لقبوله . كما تتمثل فى التضرع إلى الله تعالى والخوف منه والرجاء فيه . والخشوع له .

---

(١) سورة التوبة : آية : ٢٤ .
وراجع : العبودية . لابن تيمية . صفحة : ٤٤ .

يقول تعالى : واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ويقول تعالى : تدعونه تضرعا وخفية (١) ويقول تعالى : ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد (٢) .

**ثانيا : العبادة البدنيه :**

وهى مثل الصلاة والصوم والحج ومن العبادة البدنية كذلك الجهـــاد فى سبيل الله والامر بالمعروف والنهى عن المنكر إذا كان بالاعمال والافعال .

**ثالثا : العبادة الماليه :**

ومنها الزكاة والصدقات والذبح والنذر وتقديم القرابين لله تعالى والجهاد فى سبيل الله بالمال لتجهيز العدة والسلاح وإعداد المقاتلين المجاهدين ومدهم بمـــا يحتاجه الجهاد .

---

(١) سورة الأعراف : آية : ٢٠٥ والانعام : ٦٣ .
(٢) سورة ابراهيم : آية ١٤ .

# المطلب الثانى

## العبادة وآثارها

يتناول هذا المطلب بيان العبادة من حيث آثارها الخلقية والنفسية فى الفرد والمجتمع ، ولسوف نقسم الكلام فيه إلى ثلاثة فروع :

الفرع الأول : أثر العبادة فى الفرد .

الفرع الثانى : أثر العبادة فى المجتمع .

الفرع الثالث : أثر العبادة فى الدولة .

# الفرع الأول

## أثر العبادة فى الفرد

للعبادة أثرها القوى فى الفرد وفى شخصيته ، ويمتد هذا الأثر ليشمل الجسم والعقل والنفس والخلق .

( ١ ) **أثر العبادة فى الجسم** : فمن ثمار العبادة أنها تدعو إلى الطهارة ، طهارة الجسد والثوب ، وتحث على النظافة ، وذلك كله يؤدي إلى سلامة البدن وأعضائه المختلفة ، هذا فضلا عن أن لعبادة الصوم أثرها فى إصلاح الجسم وتحقيق صحة أجهزته المختلفة ، ثم ان المحافظة على الصلاة بمواقيتها توفر للانسان حاجته من النوم وتبعده عن السهر الذى يضنيه ، فالقيام عند الفجر للصلاة يعود الإنسان النوم المبكر والامتثال لأمر الله تعالى بعدم الإسراف فى الطعام والشراب يجنب الجسم عديدا من الأمراض مثل السكر والضغط وتصلب الشرايين وغيرها .

(٢) **اثر العبادة على العقل** : وللعبادة تأثيرها على العقل الإنسانى :

أ ) فهى تصلح التفكير وتعمل على استقامته وبعده عن الاوهام والاباطيل والخرافات .

ب ) ثم ان العبادة تعمل على ضبط الانفعالات ومنع الانغماس فى حمأة الشهوات مما يؤدى إلى سلامة التفكير .

جـ ) كما وأن الاستقامة الخلقية التى توفرها العباده تحول دون كثير من اضطراب العقل وفساده ، فأكثر مضطربى العقول هم من مدمنى الخمور والمخدرات .

د ) وأخيرا فان اتجاه الفرد بفكره إلى الله تعالى وتوجهه بقلبه إليه يبعده عن متاهات الشك والتردد والحيرة ، وهذه كلها تعوق العقل عن مهمته وتحول بين المرء وبين الإدراك السليم .

(٣) **اثر العبادة فى النفس** : تحقق العبادة الأمن النفسى ، فالمؤمن لا يعرف الهلوع يقول تعالى : ان الإنسان خلق هلوعا ، إذا مسه الشر جزوعا ، وإذا مسه الخير منوعا ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون[1] والهلوع هو أفحش الجزع وفى الحديث : من شر ما أوتى العبد شح هالع وجبن خالع وذلك بعيد عن المؤمنين الذين لهم من الله الامن والطمأنينة ، . . إلا بذكر الله تطمئن القلوب . . . والعبادة تبعد المؤمن عن التطرف الانفعالى فرحا وحزنا لان الله تعالى يأمره ألا يسرف فى هذا أو ذاك ، يقول تعالى : ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير ، لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال

---

(١) سورة المعارج : آيات : ١٩ — ٢٣ .

فخور (١) والأمن النفسى الذى تحققه العبادة هو الطريق الوحيـــد إلى السعادة والسرور ولقد قيل لحكيم : ما السرور ؟ فقال الأمن فانى وجدت الخائف لا عيش له . كما ان الاطمئنان النفسى الذى يصاحب العبادة يعطى صاحبـــه نظرة متفائلة للحياة فتراه دائما قانعا راضيا مقبلا على حياته بثقة وإخلاص وبنفس مطمئنة وتدل أساريره المشرقة على ما ينعم به من نعمة الإطمئنان .

( ٤ ) **اثر العبادة فى الخلق** : للعبادة أثران ملموسان فى السلوك الخلقى :

أ ) فأولهما : هو تأثيرها فى الأخلاق ، حيث يحجم من عرف طريق العبادة عن كل سلوك معوج ، وعن الأخلاق غير الحميدة فلا يكذب ولا يغش ولا يسرق ويجتنب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ويذر ظاهر الإثم وباطنه كالحقد والحسد والرياء والنفاق والله تعالى يقول فى ذلك : اتل ما أوحى إليك من الكتاب وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر . ولذكر الله اكبر والله يعلم ما تصنعون (٢) .

ب ) وثانيهما : هو تأثير العبادة فى تكوين خلق المؤمن ، فإذا كانت الأخلاق تعنى السلوك الاعتيادى للفرد فإن الخلق يعنى طباعه الخلقية ، حيث يصل مستوى الخلق فى نفسه إلى أن تصبح قيمه جزءا من تكوينه النفسى وجبلته وذلك قيل : خلق الحلم وخلق الصبر وخلق الصدق وغيره ، ولا يتأتى تكوين تلك الاتجاهات الخلقية إلا بالممارسة والمثابرة التى تقود إليها العبادة .

---

( ١ ) سورة الحديد : آية : ٢٢ ، ٢٣ .

( ١ ) سورة العنكبوت : آية : ٤٥ .

# الفرع الثانى

## اثر العباده فى المجتمع

من حكمة الله تعالى ان جعل أغلب العبادات جماعية ، فالصلاة جماعة ، والحج جماعى والامر بالمعروف والنهى عن المنكر جماعى ، يقول تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١) .

ويأمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأن يتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر وذلك لخلق المجتمع الإسلامى الفاضل الذى تشيع فيه الفضائل وتتوارى فيه الرذائل ويعلو فيه نداء الحق ويخفت فيه صوت الباطل .

والعبادة تؤثر فى المجتمع من نواح متعددة فلها تأثيرها الإيجابى بإيجاد عادات واتجاهات صالحة ومظاهر متعددة كما ان للعبادة تأثيرها من ناحية أخرى فى القضاء على فاسد العادات وقبيح المظاهر .

(أ) فأما التأثير الإيجابى للعبادة فيتجلى فى ذيوع الامر ، بالمعروف والنهى عن المنكر وفى التعاون على البر والتقوى وفى اشاعة روح التساند والتكاتف وفى وحدة الأمة وبعدها عن فتنة الفرقة والتشتت .

يقول تعالى : واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا

---

(١) سورة آل عمران : آية : ١٠٤ .

حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (١) .

كما تتجلى الآثار الإيجابية للعبادة فى الأخذ بقاعدة الشورى ، فولى الامر الذى يعرف ربه يشاور أمته فى الامر ، والامة التى تنهج سبيل العبادة الحقة تشير على ولى الامر وتنصح له وبذلك يستقيم الحكم ويستتب النظام ، ولا يصل إلى ولاية الامر وتولى شئون الرأى والحكم إلا الصالح ويقفل الباب فى وجوه المفسدين فى الارض وأهل الضلال والظلم .

(ب) وأما ما يكون للعبادة من تأثير على المجتمع بالقضاء على سلبياته فهو انها تقلص الجرائم وتبدد الاحقاد والضغائن ، وتزيل من المجتمع صور التباين الصارخ بين القول والعمل وبين القيم المادية والقيم المعنوية ، كما تقضى العبادة على كل المظاهر السلبية التى تشكو منها المجتمعات المنحلة مثل الإنغماس فى رذائل العرض وجرائم المخدرات والميسر وشهادة الزور وأكل الاموال بالباطل .

# الفرع الثالث

## أثر العبادة فى الدولة

إن قيام الدولة يعنى وجود أمة وأقليم من الارض تعيش عليه وداخل حدوده ، ثم حكومة تبسط سلطانها على الامة والاقليم معا ، ولا ريب أن الإيمان له آثاره البارزة فى الدولة ونورد أهمها فيما يلى :

أولا : هيبة الدولة : ان الدولة التى تجعل العبادة منهاجا لها وقيما سامية

(١) سورة آل عمران : آية : ١٠٣ .

تحافظ عليها تصبح دولة ذات هيبة بين سائر دول الارض ، فهى لا تنافق ولا تخادع ولا تخشى إلا الله ، كما أن كل من فيها : حكاما ومحكومين يؤثرون الموت على الحياة فى سبيل الله تعالى ولاعلاء كلمته لتكون هى العليا .

ثانيا : إن الدولة التى يسلك أفرادها سبل العبادة يعم فيها الإحسان ، خاصة ما يهمنا فى مجالنا هذا وهو إحسان الحاكمين والعاملين فى مختلف أجهزة الدولة ، فلا تشيع الرشوة ولا القسوة ويعم التكافل والمودة والرحمة .

ثالثا : ثم ان دولة شعبها من العباد الطائعين لله لا يتسنى لاى عدو أن يقتحمها ويقهرها ، لان كل من فيها يؤثرون الجهاد بأموالهم وأنفسهم ، فتظل الارض الدولة المحرمة التى تصونها عن كل اعتداء . . . وما ترك قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ذلوا وتقلب عليهم الاعداء واستباحوا حرماتهم وديارهم وأموالهم وان فى التاريخ العبرة لمن أراد الإعتبار .

---

# المراجع


١ — القرآن الكريم

٢ — التفاسير

٣ — الحضارة — للدكتور حسين مؤنس

٤ — وجود الله — للدكتور يوسف القرضاوى

٥ — دين الحق — عبد الرحمن بن حماد آل عمر

٦ — الدين — الدكتور محمد عبد الله دراز

— ضحى الإسلام — للدكتور أحمد أمين

# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|